بذل الإحسان
في
وصف عباد الرحمن

من ندوات وكتابات

الداعية الإسلامي
عمرو خالد

الكاتب الإسلامي
شريف كمال عزب

أعده للنشر
عبدالله كشك

دار الروضة للنشر والتوزيع



للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
سوق الكتاب الجديد - الأزبكية

ص.ب: ٢٢٢٧ رمز بريدى: ١١٥١١

تليفون: ٥٩١٣٤٢٤ - فاكس: ٥٩٢٧٣٦٤

موبايل: ٠١٢٣٦٠٨٩٩٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

DAR El-RAWdAH.
2DARb El-ATRRAK. El-AZHAR

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا

يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ
يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾

صدق الله العظيم

(الفرقان ٠٦٣-٠٧٥)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}
[آل عمران، آية ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء، آية ١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}
[الأحزاب، آية ٧٠،٧١]

أما بعد

فهذا الكتاب هو خلاصة كتابات ولقاءات الأستاذ عمرو خالد والكاتب الإسلامي شريف كمال عزب عن موضوع كلنا نتطلع إليه وهو الفوز بوصفنا عباد الرحمن فهؤلاء في الجنة لأنهم أصبحوا في معية الملك فاللهم اجعلنا منهم إنه ولي ذلك ومولاه ..

عبدالله كشك

التواضع

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا

"وعباد الرحمن" مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجزون غير المعترض فيه

"الذين يمشون على الأرض هونا" أي بسكينة وتواضع

"وإذا خاطبهم الجاهلون" بما يكرهونه

"قالوا سلاما" أي قولا يسلمون فيه من الإثم

يقول الأستاذ عمرو خالد

حينما تسمع أن فلانا متواضع أو فلانة متواضعة.. فأي احساس تحس به..!!

وأي شعور يخطر على بالك..!؟ انك لا تستطيع أن تعبّر عما في داخلك تجاه هذا الخلق الرفيع.. ولذلك فلا بد من معرفة معنى التواضع.

وللتواضع معنيان:

المعنى الأول: أن تستسلم للحق وتقبله من أي انسان جاءك منه هذا الحق.

فمن الناس من لا يقبل الحق، الا اذا كان ممن هو أكبر منه. فاذا كان الحق ممن هو أصغر أو أدنى منه مانة، فلا يقبله أبدا.. ولكن التواضع غير ذلك، فاستسلامك للحق وقبولك لــــه يكون من أي انسان.. الفقير والغني، الشريف والوضيع، القوي والضعيف، العدو والصديق.. هل أنت منهم؟ هل تستسلم للحق وتقبله من أي انسان؟ قبل الاجابة عليك التركيز الشديد والتفكير في " أي انسان".

والمعـــنى الـــثاني للتواضع هو: أن تخفض جناحك للناس، ومعنى تخفض جناحك: أي تعـــامل الـــناس بلـــين ورقة أيّا كانوا... الخادم والمستخدم، الشريف والوضيع، الحقير والعظـــيم.. فهـــل تستطيع أن تعامل البشر، كل البشر بمنتهى العطف.. بمنتهى الرقة.. بمنتهى الحنان؟

مراجعة: عرفنا أن للتواضع معنيي:

الأول: الاستسلام للحق وقبوله من أي انسان.

اثاني: خفض الجناح للناس، ومعاملتهم معاملة رقيقة ودودة.

أظـــنك متواضعا، ولكن أترضى عن تواضعك..؟ أيرضى ربنا عن تواضعك..؟ اذن.. اجتهد وافهم المعنيين جيدا وحاول التطبيق والله معك.

أصل التعريفين

مـــن المعروف أن عكس التواضع هو الكبر.. وحينما عرّف النبي صلى الله عليه وسلم الكـــبر قـــال:" الكبر بطر الحق، وغمط الناس" رواه مسلم ٢٦١ و الترمذي ١٩٩٩.

وبطر الحق معناه: ألا تقبل الحق، ومن هنا أخذنا المعنى الأول للتواضع.

وغمـــط الـــناس معـــناها: أن تأتي للبسطاء والفقراء وأنت شامخ عليهم بأنفك.. ترى لنفســـك رفعة ومكانة، فلا تسلم على هذا ولا تتكلم مع هذا ولا تبتسم لهذا (ومعناها ظلم الناس، وعدم اعطائهم حقهم) ومن هنا جاء معنى التواضع الثاني.

أما اتضح أمامك وضوح الشمس؟ لقد علمت أن مضاد التواضع هو الكبر، واعلم الآن أنك ان لم تكن متواضعا فأنت..!!

فضل التواضع

ما تواضع أحد لله الا رفعه الله

يقول النبي ﷺ :" ما تواضع أحد لله الا رفعه الله" رواه مسلم ٦٥٣٥ والترمذي ٢٠٢٩ والامام أحمد ٢\٣٨٦.. سبحان الله.. حديث تراه متحققا في حياتنا.. فانك ترى الانسان كلما تواضع كلما ازددت له حبا (انه تواضع لله، فرفع الله مكانته وأعلى شأنه).

ويا سبحان الله.. العكس صحيح.. فكلما تكبر الانسان بغضه الناس، ونزلت مكانته عندهم.. أما تحب أن يرفع الله شأنك..!؟ أسمعك تقول: نعم، اذا عليك بالتواضع.

يا الله..! أعلى عليين؟

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يبلغ أعلى عليين، ومن تكبّر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يبلغ أسفل سافلين" رواه الامام أحمد٣\٧٦.

يا لها من درجات للمؤمنين المتواضعين الناجين.. ويا لها من درجات للمتكبرين الهالكين.. اسأل نفسك في أي الفرقين أنت الآن!؟ وفي أي درجة!؟ أيّا كانت الاجابة.. ألست معي أنك محتاج لخلق التواضع..!!؟

فماذا تنتظر اذا.!؟

تواضعوا.. بالأمر!!

يقول النبي ﷺ :" ان الله أوحى اليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" رواه أبو داود ٤٨٩٥ وابن ماجه ٤١٧٩.

ان كنت تتكبر على خلق الله وتبغي عليهم.. وأنت غير راض عن فعلك وتريد اصلاح نفسك.. فعليك بالتواضع. أما يكفيك الأمر..!؟ عرفت فالزم.

الأرض أقرب طريق إلى السماء

يقـــول النبيﷺ : يقول الله تبارك وتعالى:" من تواضع لي هكذا" وظل النبي ﷺ يشير بـــباطن كفـــه الى الآرض ويهوي به الى الأرض (يقلون فظل يخفض يده للأرض حتى ادناها الى الأرض) " رفعته هكذا" رواه الامـــام أحمد ١\٤٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ٨\٨٢. وقلب ظهر كفه الى السماء حتى جعله في السماء.

ســبحان الله.. كلما تواضعت لله أكثر في معاملاتك مع الناس كلما رفعك الله أكثر..

وانظر الى التشبيه.. والى كلمتي: الأرض والسماء.

وقفـــة: ان مـــن تواضع الأرض أننا نمشي عليها بأقدامنا.. فاستحقت أن تسجد عليها جباهنا.. أي فضل هذا..؟

لا يدخل الجنة... اللهم سلم

يقـــول النبي ﷺ :" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" رواه مسلم ٢٦٣ وأبو داود ٤٠٩١.

وهناك رواية أخرى:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال خردل من كبر".

اســأل نفســك الآن.. هل في قلبك مثقال ذرة من كبير؟. انه حديث في غاية الأهمية، فـــيوم القيامة تأتي بصلاة وصيام وزكاة، وحج وأعمال صالحة و .. لكن فيك كبر فلا تدخل الجنة، فلا تكن كالعابد سيئ الخلق.. وابدأ في التغيير.

أتنازع الله..!؟

يقـــول الله تـــبارك وتعـــالى في الحديث القدسي:" الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني فيهما عذبته" رواه الامام أحمد ٢\٤١٤.

تواضعوا لله ولا تنازعوه في كبريائه.. الا تحبون نعيم الجنة؟ ألا تخافون عذاب النار..!؟

اصغ لوصايا لقمان

يقول الله تعالى في وصايا لقمان لابنه:

{ ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا} لقمان ١٨، فما معنى تصعّر؟

الصعر: مرض يصيب الابل، حين يصيبها، في رقبتها، فلا تستطيع أن تعيد رقبتها مرة أخرى، فتمشي هكذا (تلوي رقبتها).

انظر الآن الى التشبيه القرآني البديع.. أشعر أنكم الآن تتخيلون المشهد كيف يكون..

س: ما احوال رقبتك!؟

نماذج للتطبيق

التواضع خلق الرسول ﷺ

يقول الصحابة رضوان الله عليهم: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يترع يده حتى ينوعها الذي يسلم عليه واذا سلم سلم بكليّته، ولا يصرف وجهه عنك، حتى تصرف أنت وجهك، وكان يجلس حيث انتهى به المجلسن وكان هاشا باشا، لا تلقاه الا مبتسما..

يا الله.. أين نحن من هذه الصفات.. انك تسلم على الناس بأقصى سرعة ممكنة، تقول:" اني مشغول".. فهل أنت مشغول أكثر من النبي ﷺ وهل تسلم على الناس وتتوجه اليهم بكل جسمك..أم أنك لا تسلم باليد، وأنت قلبا وقالبا في الناحية الأخرى لا تنظر اليه. وانك تحب أن تتصدر المجلس، وتلقى الناس بوجه مكفهر.. انك ان استطعت أن تفعل هذه الأشياء الأربعة كنت متواضعا.. واني لأعلم بأن منكم فيه واحدة، ومنكم فيه اثنان ومنكم..

أيها الأحبة: تعلموت.من تواضع نبيكم..

يقول ﷺ :" ان الله خيّرني أن أكون ملكا نبيا أو عبدا نبيا فاخترت أن اكون عبدا نبيا" رواه الهندي في الحديث ٣٢٠٢٩ والزبيدي في اتحاف السادة المتقن ٣٥٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٨\٨٢.

لقد اشتقنا لرؤية حبيبنا محمد ﷺ فهل اشتقتم اليه!!؟

هوّن عليك...!!

ومن تواضع النبي ﷺ : جاءه رجل يرتعد (يحسب أنه سيدخل على ملك من الملوك) فقال له النبي ﷺ :" هوّن عليك فاني لست بملك، انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة" رواه ابن ماجه ٣٣١٢ والحاكم ٤\٤٦٦. والقديد هو اللحم المجفف، أي أنها كانت تأكل اللحم الناشف...

وهل دخل عليك أحد من قبل يخاف منك فقلت له: أنا ابن رجل فلاح بسيط؟.. انظر إلى تواضع النبي ﷺ . وإياك أن تكون ممن يتكبرون على الناس وينتهزون الفرص.

أخشى ألا تفهم المقصود

ومن تواضع النبي ﷺ أنه كان يركب الحمار رواه الامام أحمد ١\١١١ والهيثمي ٩\٢٠، مع قدرته على ركوب الخيل تواضعا لله.

في يوم خيبر، عاد النبي ﷺ من خيبر منتصرا على فرسه والكل في انتظاره، فلما وصل قال:" أين البغلة؟!" فترل عن فرسه وركب البغلة تواضعا لله.

أرجوك افهم الكلام بمعناه الصحيح.. إنني لا أقول هذا الكلام لتعيش حياتك كلها في ضيق وحزن وشقاء.. لا والله. انك إن فهمت هذا كان الوصول إلى المريخ أقرب إليك من التواضع.. " عندك سيارة تذهب بها كل يوم إلى عملك.. فتركب المواصلات تواضعك لله" وكل لبيب بالإشارة يفهم.

تعلموا يا أبناء القرن الواحد العشرين..!!

والــيك هــذا الموقف وانظر الى أي مدى كان النبي ﷺ متواضعا.. يقولون: كانت الجاريــة (الأمــة.. العبدة.. البنت الصغيرة) تأخذ بيده، فلا ينزع يده منها فتخرج الى المدينة تشتري حاجتها فيكون معها حتى تعود.

مــا هذا..!؟ ان أخاك الصغير يقول لك: تعال معي اشتر شيئا فترد عليه قائلا (...) فيا أبــناء الواحــد والعشــرين اقتدوا بنبيكم وكونوا متواضعين، فان من بفعل ذلك اليوم أصبحوا قلة.. فهل أنت منهم..!؟

يا الله.. جسد النبي يغطيه التراب!!

ومن تواضعه انظر يوم الخندق: الصحابة منهم من يحفر ومنهم من يكسر الأحجار.. وان الحفر والكسر أعمال نظيفة إلى حد ما، فماذا كنت تفعل يا رسول الله؟

هل كان يشرف؟ هل كان يحفر؟ هل كان يكسر الأحجار؟ لقد كان يحمل التراب من الحفرة التي عمقها ثلاثة أمتار على كتفه ويقول الصحابة: فوالله رأينا جسد النبي ﷺ قد غطاه التراب.

أراك متعجــبا تقول: وهل رأوا جسد النبي؟! نعم..(النبي كان يعمل بجد) ولكن انظر الى حالــنا اليوم.. تراه يشرف ويتابع ولا يفعل شيئا. ولكن انظر الى النبي يختار أصعب عمــل ويحمــل الــتراب على كتفه صلى الله عليه وسلم! ار الله من نفسك قوة.. أر تواضــعك... واذهب لوالدتك وعليك بغسل الأطباق وتنظيف الشقة و.. أما تحب أن يكون تواضعك عمليا..!؟

ليس لك حجة بعد اليوم..!!

كــان النبي ﷺ في خدمة أهله يرقع ثوبه ويخصف نعليه ويحلب شاته ويخدم نفسه. رواه الإمام أحمد ٦\١٦٧.

مـــا هـــذا؟ انه النبي ﷺ .. كيف بفعل ذلك؟ لا تتعجب هكذا يكون التواضع..[لا يدخل الجنة أحد الا خلف النبي ﷺ].. وتعلم من تواضع رسول البشرية.

أراك الان قلقا.. وكان لسان حالك (ليس لي حجة بعد اليوم)..!! فمن اليوم ستذهب الى السوق، ومن الآن ستساعد الأهل.. جدد نيتك واقتد بنبيك المتواضع.

ابحث لك عن قلادة!! تكون حجة لك

كان عدد النساء في فتح خيبر ٢٠ امرأة منهم بنت صغيرة، فقال لها النبي ﷺ :" تعالي اركـــبي خلفي" المسافة (٩٠ كم) يقولون: فكان النبي ﷺ إذا أراد أن يستريح نزل من عـــلى ناقته ثم أناخ الناقة وقال لها:" هات يدك" فيترلها ﷺ ، تقول البنت: فلما انتهت الغزوة وانتصر المسلمون، رأيت رسول الله ﷺ يوزع الغنائم، ويبحث، وينظر في الناس، فـــرآني فقال:" تعالي" فذهبت إليه فأخرج قلادة فقال:" البسي" فهممت أن أخذها من الـــنبي ﷺ لألبسها فقال:" لا أنا ألبسها لك" رواه الإمام احمد ٢٤٢\٦. فوضعها رسول الله ﷺ بنفسه في رقبتي. تقول الفتاة: بعد ذلك والله لا تغادر رقبتي أبدا، ولقد أوصيت أن تدفن معي في قبري، حتى آتيه يوم القيامة أقول له: القلادة يا رسول الله.

أرى عينيك قد دمعت من رقة هذه المشاعر والأحاسيس.. ولكن انظر الى تواضع النبي قي التعامل مع الناس.. كل الناس.

س: هـــل تتعامل هكذا مع الناس..؟ أشعر أن كلام البنت الصغيرة قد أثر فيك حينما قالت: أوصيت أن تدفن معي في قبري، حتى أتيه يوم القيامة أقول له: القلادة يا رسول الله.. إحساس صادق وصل إليك من ١٤٠٠ سنة..

فابحـــث لـــك عـــن قلادة..! وتأتيه يوم القيامة، وتقول: منذ سمعتها يا رسول الله وأنا متواضع والحمد لله.

أي تواضع هذا..!!؟

هـــل تعرف كيف دخل النبي ﷺ مكة بعد الفتح والانتصار؟ لقد دخل مطأطأ الرأس. يقولـــون: حـــتى رأينا جبهة النبي تلتصق بالناقة.. يا الله!! بعدما آذوه وعذبوا أصحابه وقتلوهم وحاربوه ﷺ ..

سبحان الله أيّ تواضع هذا.. من يفعل ذلك في هذه الأيام.. هل أنت متخيّل.. انتصار عظيم.. ولكن.... يقابله تواضع أعظم.. اخفض جناحك رحمك الله.

وعليّ جمع الحطب.!!

كـــان النبي ﷺ في بعض أسفاره.. فأمر بإصلاح شاة. فقال رجل: عليّ ذبحها، وقال آخـــر: عـــليّ طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم:" وعليّ جمع الحطب". فقالوا: نحن نكفـــيك. فقال:" قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه" رواه العجلوني في كشف الخفاء. وقام بجمع الحطب.

اللهم اجعلنا من المتواضعين المحبين لنبيك محمد ﷺ، اللهم أعنا على التواضع ووفقنا له.

ليتك تنظر إلى حالنا يا أبا بكر

والـــيك نمـــاذج الصحابة رضوان الله عليهم في التواضع. فهذا أبو بكر الصديق يقوم بنظافة بيت امرأة عجوز وهو من؟ انه خليفة رسول الله .. انه أمير المؤمنين.

فمـــن تكـــون أنت..؟ انك لا تنظف بيتك.. لا تساعد أمك.. لا تساعد زوجتك.. والبنت تقول لأمها:" أنا مشغولة الآن.. أنا أصبحت في الجامعة معقول أنظف البيت"!! انك لا تفعلها في بيتك فما بالك بأبي بكر ينظف بيت امرأة عجوز.

ألا تستحي..؟ أين أنت يا أبا بكر لترى أحوالنا؟

سؤال في غاية الصعوبة وإجابة في غاية السهولة .

وانظر إلى تواضع سيدنا أبو بكر في هذا الموقف: يأتيه رجل من المؤلفة قلوبهم فيقول: يـا خلـيفة رسول الله مر لي بعطاء، فيأمر له بعطاء (قطعة أرض)، ويقول له: اذهب فأشـهد علـيها عمر بن الخطاب.. فذهب الرجل لعمر وقال له: إن أبا بكر كتب لي هـذا، وأمرني أن آتيك لتشهد عليها، فقال عمر: والله لا أشهد عليها، كنتم تأخذونها والإسـلام ضعيف، أما الآن فالإسلام قوي، ثم أخذ الورقة ومزقها، فذهب الرجل إلى أبي بكر قال: والله لا ادري أيكما الخليفة أأنت أم هو!!؟ فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: هو إن شاء الله.

تخـيّل.. لو كنت مكان سيدنا أبي بكر أمير المؤمنين، ماذا كنت ستفعل؟ الحمد لله أنك لسـت مكانه.. ولكن هل تستطيع أن تتعلم من هذا الموقف..!؟ هل تستطيع أن تكون متواضعا..!؟

ليتني شعرة في صدر أبي بكر..!!

والـيك نموذجـا مـن فاروق الأمة يعلمنا فيه التواضع، ولكني قبل أوضحه، تذكر شخصية عمر.. قوة سيدنا عمر.. ولا تنسى تواضع سيدنا عمر الذي قال هذه المقولة:" ليتني كنت شعرة في صدر أبي بكر".

قس نفسك على هذا الكلام.. وقل أين أنا من خلق التواضع؟

يا أحنف.. تعال أعن أكير المؤمنين على ابل الصدقة

وجـاء وفـد العراق لمقابلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقودهم الأحنف بن قيس، وهـو سيد من سادات العراق، فحينما وصلوا وجدوا سيدنا عمر يغسل الإبل بنفسه، ويقـول: يـا أحـنف تعال أعن أمير المؤمنين على ابل الصدقة، فقال رجل من الوفد: رحمـك الله يا أمير المؤمنين، هلا أمرت عبدا من عبيدك ينظف هذه الإبل. فقال عمر:

وأي عبد هو أعبد مني، ومن الأحنف بن قيس، ألم تعلم أنه من ولي أمر المسلمين كان لهم بمترلة العبد من السيد؟!

يـا الله.. عمـر بـن الخطاب يغسل الإبل بنفسه.. كيف ذلك!؟ أمير المؤمنين ينظف الإبـل..!! وكأننا نقرأ قصة خيالية، لكن التواضع يفعل أكثر من ذلك، هل تشك في هذا الكلام؟ جرّب وسيتبدل الشك باليقين.



قيام الليل

وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا

"والذين يبيتون لربهم سجدا" جمع ساجد

"وقياما" بمعنى قائمين يصلون بالليل

ويقو الأستاذ عمرو خالد

ومعلـــوم أن المحافظة على صلاة الليل سبب لحضور القلب بين يدي الله تعالى وبكائه وتأثـــره بـــآي الذكر الحكيم والقرآن العظيم، على ما فيه من مشقة وعناء، وقد سئل الحسن البصري عن أشد شيء وأصعبه على الإنسان فقال: قيام الليل، فقيل له: فما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم من نوره! وقـــد خلقـــنا الله تعالى، وأراد أن يعرف قدره في قلوبنا ولكي يعرف الناس ربهم ويروا نعمـــه وآلاءه.. ولهـــذا يقـــول سبحانه في الحديث القدسي:" خلقت الخلق لأعرف" قال تعالى:{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} أي ليعرفون.

وأنا أدعوك أخي إلى أن تجرب قيام الليل وتذوق حلاوة المناجاة.. ولقد جربنا أشياء كـــثيرة في حياتـــنا كاللهو واللعب والسهر.. فلنجرب قيام الليل ومناجاة الله السميع العلـــيم. واعلم أن قيام الليل دليل على حب الله للإنسان.. فمن وفقه الله وأعانه على قـــيام الليل فإن هذا يعني أن الله تعالى يحبه.. ولهذا جاء في الأثر:" إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك".

ولـــذا يقول جل وعلا في الحديث القدسي:" من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب وما تقـــرب إلى أحـــد بأفضل مما افترضته عليه.. ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحـــبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذ نه". رواه البخاري ٦٥٠٢ وابن ماجة ٣٩٨٩.

وفي روايـــة تكمـــل لهذا الحديث تقول:" وما ترددت في شيء ترددي في قبض عبدي المؤمن.. يكره الموت.. وأنا أكره مساءته" أي ما يسوؤه ويحزنه؟! رواه البخاري ٦٥٠٢.

وعـــلى قدر تميزك في قيام الليل.. على قدر حب الله لك .. والقابض على دينه في هذا الزمن كالقابض على الجمر وله ثواب عظيم.. وكذلك المحافظ على قيام الليل ولا شك ان له أجرا عظيما وثوابا كبيرا..{ وقليل من عبادي الشكور} سبأ١٣.

الرسول قدوتنا في قيام الليل

وإذا قـــرأت سورة المزمل وجدت أن الله تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ في أولها قائلا:{ يا أيهـــا المـــزمل*قم الليل إلا قليلا..} المزمل ١-٢ ، أي أن الأصل عند النبي محمد أن يقوم معظم الليل أو نصفه على الأقل أو ينقص منه قليلا.. ومعلوم أن قيام الليل كان فريضة عـــلى النبي محمد ﷺ وهو سنة مندوبة لأتباعه وأحبابه المسلمين { أو أنقص منه قليلا} المـــزمل ٣، قد تعني ثلث الليل {أو زد عليه} كأن يقوم ثلثي الليل مثلا {ورتل القرآن ترتـــيلا} المزمل٤؛ أي اقرأ القرآن بتأن واحرص على إعطاء كل حرف حقه ومستحقه وصفته..

ولـــذا أوصيك يا أخي أن تقوم الليل، ونقرأ القرآن كأنما أنزل عليك، وكأن الله تعالى يخاطبك أنت!

وعندما يقول تعالى: { يا أيها الذين آمنوا } فأعر سمعك وقلبك له تعالى وتدبر و أنصت ، فإنه اما خير تؤمر به أو شر تنهى عنه. وإذا ما قرأت آيات عن الحساب فتخيل أنك واقــف بين يدي ربك وأنه يحاسبك على أعمالك في الدنيا. وإذا قرأت آيات عن الجنة فتخيــلها وابتسم، وتذكر رسول الله ﷺ عندما كان يصلي بالمسلمين ذات مرة وعندما قــرأ آيــات عن الجنة مد يده كأن يقطف شيئا من ثمارها! وإذا قرأت آيات عن النار تخيل أهلها وهم يصطرخون فيها ويعذبون.. { إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا } المزمل٥، وهــو لوحي.. وهذا الوحي يحتاج إلى استعداد لأنه ثقيل وتكليف بأوامر ونواه ومن ثم يحتاج الى عزيمة قوية وإيمان راسخ يستطيع الوفاء بهذه التكاليف وأداءها حق الأداء.

وعــلى هذا فإن الأخ الذي يريد أن يكف نفسه عن لمعاصي ويردعها عن الشهوات الحرام، لا بد أن يؤدب النفس في الليل بحسن القيام وطول قراءة القرآن والتدبر والمراقبة والخوف من الله تعالى..

ثم يقــول تعالى: { واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا } المزمل ٨، أي أقلع قلبك عن كل الشواغل الدنيوية وتنقطع إلى طاعة الله عز وجل.. واجعل فرحك وحزمك لله وبالله.. لا بالدنيا وشهواتها وغفلاتها.

وأود أن أســألك أخــي سؤالا: ما هو أول شيء في قلبك؟! والقلب سمي قلبا لسرعة تقلــبه، وهــو ســريع التأثر بالأشياء من حوله.. وأنت سريع التأثر بزوجك وأولادك وأحــبابك.. فهل جربت أن توجه هذه الحساسية لله تعالى؟! ولا تقل: أنا قلبي قاس أو أنا لا أستطيع البكاء أو أنا لا أتأثر بالقرآن... فالقلب فيه خير، ولكنك لم تستثمر هذا الخير. وجرب قيام الليل أسبوعا واحدا وسترى لذلك أثرا عظيما.

ونبيــنا وقدوتــنا ﷺكان يقوم معظم الليل ويشق على نفسه فتسأله أم المؤمنين خديجة رضــي الله عنها: يا رسول الله.. ألا ترفق بنفسك.. ألا تنام قليلا؟ فيقول ﷺ :"مضى زمن النوم يا خديجة"

وقد كان بعض الصحابة من شدة خوفهم من الله وحبهم له يقومون الليل كله، فنزلت آخر آية في سورة المزمل تخفف عنهم وتقول: {فاقرءوا ما تيسر منه} المزمل ٢٠.

والسؤال: لماذا لا نقلد الصحابة رضي الله عنهم في قيام الليل واجتهادهم في الطاعة؟!

واعلم أن قيام الليل صفة من صفات عباد الرحمن المذكورين في آخر سورة الفرقان. يقول تعالى عنهم: { **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما* والذين يبيتون لربهم سجّدا وقياما**} الفرقان ٦٣-٦٤، كانوا يبيتون لربهم ساجدين وقائمين، فكيف تبيت أنت وكيف تقضي ليلك؟!؟ أمام التلفزيون؟ أم في المسارح والملاهي؟ أو مع أصدقاء السوء؟! بعض الناس يظلون طوال الليل ساهرين أمام التلفاز، فإذا ما أوشك الفجر أن يؤذن ذهبوا الى مضاجعهم!! فيجاهدون أنفسهم في المعصية واللهو.. ولا جاهدوها في طاعة الله جل وعلا!!

ويقول تعالى عن المؤمنين في سورة السجدة: { **انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكّروا بها خرّوا سجّدا وسبّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون* تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون**} السجدة ١٥-١٦.

ومعنى تتجافى جنوبهم عن المضاجع: أي أنها لا تستطيع الصبر على النوم، تكره الفراش اللين والراحة!! كأن بينه وبين السرير جفوة وخصاما فلا يستطيع أن يمنع نفسه من مناجاة الرحمن ومخاطبة الواحد المنّان! مسكين والله من لم يذق لذة القيام وحلاوة المناجاة!!

ويقول سبحانه عن جزاء هؤلاء وثوابهم: { **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**} السجدة ١٧، انهم أخفوا طاعتهم وعبادتهم عن الناس.. فأخفى الله ثوابهم العظيم.. وما تقر به أعينهم من المنح والعطايا.. والجزاء من جنس العمل.

فانظر يا أخي الى أعداد المسلمين وانظر الى نسبة الذين يقومون الليل منهم تجدها ضعيفة جدا.. يقول جل شأنه: { **ان المتقين في جنات وعيون* آخذين من آتاهم ربهم**

انهـــم كـــانوا قـــبل ذلـــك محسنين* كانوا قليلا من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يســـتغفرون} الذاريـــات ١٥-١٨. ووقت السحر، هو الذي يسبق الفجر بنصف ساعة.. وعباد الرحمن المؤمنون يقضون هذا الوقت في استغفار الله تعالى لا في اللهو واللعب.

ويأمـــر الله تعـــالى نبيه ﷺ بقوله:{ **ومن الليل فتهجد به نافلة عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**} الاسراء ٧٩.. فالله تعالى يأمر نبيه بالتهجد والقراءة، ويبين له أن هذا أحد أسباب فـــوزه بالمقـــام المحمود.. مقام الشفاعة يوم القيامة.. وأن يمنّ عليه بالوسيلة وهي المترلة العالـــية في الجنة.. ومعلوم أن الذي يقوم الليل لا يستوي مع الذي لا يقوم، ولذا يقول تعـــالى:{ **أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب**} الزمر ٩.

واعـــلم أن هـــناك جنة في الدنيا، كما أن هناك جنة في الآخرة، وجنة الدنيا هي قيام اللـــيل.. والخلوة بالرحمن سبحانه وتعالى.. بل انها أفضل من الدميا وما فيها كما أخبر المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه قال:" ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له مـــن الدنـــيا وما فيها" ذكره الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٥\١٨٥ والهندي في كتر العمال ٢١٤٢٦ و ٢١٤٣٥.. ركعتان فقط!

ويقـــول ﷺ :" يترل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى الثلث الأخير من الليل، فيقول: من يدعـــوني فأســـتجيب له؟! مـــن يسألني فأعطيه؟! من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يضيء الفجـــر" رواه الـــبخاري ١١٤٥ ومسلم ١٧٦٩ والامام أحمد ٢\٢٨٢.. فهل يصح أن يترل ربنا عز وجل من عليائه إليك وأنت مستغرق في النوم؟! ولو أن ضيفا مهما أتاك قبل الفجر ألن تستيقظ وتنتبه وترحب به وتكرمه وتحاول إسعاده بكل طريقة؟! فما بالك بالله تعالى؟!

ويقـــول ﷺ :" ان في اللـــيل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة الا أعطاه الله إياه.. وذلك كل ليلة" رواه مسلم الحديث ١٧٦٧ والامام أحمد ٣\٣١٣.

ونــزل جبريل عليه السلام إلى سيد البشر فقال:" يا محمد، اعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس".

صورة من قيام النبي ﷺ :

روي أن رجــلا أتى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال: أخبريني عن أعجب ما رايــت مــن رسول الله ﷺ .. فقالت: وأي أمره لم يكن عجبا؟! أتاني ليلة ﷺ فدخل معي في اللحاف حتى اذا مس جلده جلدي، قال:" ذريني أتعبد لربي ساعة"، فقلت له: والله اني لأحب قربك ولكني أؤثرهواك.. (انظر: ان هوى النبي ﷺ في قيام اللسل! فهل رأيت أحسن من هذا؟!). فقام ﷺ يصلي فبكى حتى كثرت دموعه، حتى رأيت دموعه تبل صدره..(ولم تقل تبل لحيته.. بل صدره)! ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى.. فما زال كذلك حتى طلع الفجر، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الفجر، فرآه يبكي فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال ﷺ :{ وكيف لا أبكي يا بلال وقد نزلت عليّ الليلة هذه الآيات..{ **ان في خلــق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**} آل عمران ١٩٠-١٩١.

ثم قــال ﷺ :" ويــل لمن قرأها ولم يتفكر فيها" ذكره السيوطي في الدر المنثور الحديث ١١١\٢ والزبيدي ١٠\١٦٣.



الدعاء والتضرع إلى الله
والخوف من النار

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا

والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما" أي لازما

إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا

"إنها ساءت" بئس

"مستقرا ومقاما" هي: أي موضع استقرار وإقامة

عبادة الدعاء

بدايـــة أحب أن أسأل: هل هناك أحد ليس عنده مشاكل؟! أو هناك أحد ليس عنده آمـــال يسعى لتحقيقها؟! هل هناك أحد يستطيع أن يستغني عن ربه جل وعلا؟!، هل هـــناك لم يرتكب ذنبا ولا يخاف أن يؤاخذه الله عز وجل على هذا الذنب؟ هل هناك أحـــد يســـتطيع أن يستغني عن رحمة ربه سبحانه وتعالى؟! هل هناك أحد يستطيع أن يستغني عن هداية وتوفيق الله تعالى؟!

ولا شـــك أنـــه أشرف للمسلم الموحد بأن يرفع يديه الى ربه عز وجل وأن يلح عليه ويســـأله.. فهذا أفضل من أن يدعو غير الله أو يسأل غير الله تعالى: ولا فالى من يلجأ المســـلم ان لم يـــلجأ الى الله تعالى خالقه ورازقه ومحييه ومميته.. سبحانه وتعالى؟! هل

سـيذهب الى الـناس الضعفاء الفقراء؟! ليس من المعقول أن يتعلق غريق بغريق مثله! وليس معقولا أن يلجأ فقير الى فقير، أو ضعيف الى ضعيف مثله!! وقد صدق النبي ﷺ اذ يقول:" من لم يسأل الله يغضب عليه" رواه الـترمذي ٣٣٧٣. وصق الشاعر الحكيم الذي قال:

لا تسألن بني آدم حاجة　　　وسل الذي أبوابه لا تحجب

فالله يغضب إن تركن سؤاله　　　وبني آدم حين يسأل يغضب

نعم.. الله يغضب اذا لم يسأله العبد، والعبد يغضب اذا سأله العبد!! والخلق كلهم فقراء الى الله الغـني مالك الملك الذي يقول في متابه الكريم:﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هـو الغـني الحمـيد ﴾فاطـر ١٥، أيها الناس جميعا: كلكم فقراء إلى الله.. كلكم لا استثناء؛ يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم والخفير والوزير.

ويقول سبحانه: { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتترع الملك ممن تشاء، وتعز من تشـاء وتـذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير } آل عمران ٢٦، فاذا كان الله هو مـالك الملك وهو الذي يعطي ملكه من يشاء من عباده ويترعه عمن يشاء..ويعز من يشاء ويذل من يشاء.. فهل يصح لعبد أن يسأل غير الله تعالى؟!.

ويقـول عـز وجـل في الحديـث القدسي:" يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاسـتهدوني أهدكم" رواه الترمذي٢٤٩٥ وابن ماجه ٤٢٥٧. يا من يريد الهداية اسأل الله تعالى أن يهديـك وألحّ عليه في هذا السؤال، ولا تنس أن الحبيب ﷺ كان يسأل ربه الهدى قـائلا:" اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.." رواه مسلم ٦٨٤٢ – ٦٨٤٣ رواه الـترمذي ٣٤٨٩ والامـام أحمد ١\٤١٦.، وهل يصح أن يأمرنا الله بأن نساله الهداية ولا يجيبنا سبحانه؟! بالطبع كلا.. فهو الذي يعد ويفي لأنه على كل شيء قدير.

" يـا عـبادي كلكـم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم." إنكم يا عبادي لا تملكون حتى الملابس التي تلبسونها.. فاسألوني أن أكسوكم وأنا أكسوكم.

" يا عبادي.. كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم".. تأمل يا أخي.. الله جـــل جلاله في عليائك يأمرك أو يوجهك وينصحك أن تساله أن يطعمك فهل سألت الله مرة قائلا: اللهم أطعمني من جوع..

لقد امتن الله تعالى على العرب أو القرشيين بأنه { أطعمهم من جوع} قريش ٤.

وكان من ثناء إبراهيم على ربه عز وجل إن قال:{ والذي هو يطعمني ويسقين} الشعراء ٧٩،

" يـــا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار.. وانا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكـــم.. يـــا عـــبادي: إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.. يا عـــبادي: لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد لك في ملكي شيئا. ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا.. يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجـــنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي، إلا كم ينقص المخيط اذا أدخل البحر"!

ســبحان الله!! لـــو أن كـــل البشر؛ هذه المليارات من الناس اجتمعت في مكان واحد وســألت ما تشاء، وأعطي كل واحد منهم ما سأل ما نقص ذلك في ملك الله إلا كما تنقص الإبرة إذا أدخلت البحر!! وهل ينقص المخيط من البحر شيئا؟!

" يـــا عـــبادي.. إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم لا أوفيكم إيّاها.. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" رواه مسلم ٦٥١٧ وابن ماجه ٤٢٥٧.

بعـــد كـــل هذ.. هل ندعو الله أم لا؟! ان الله تعالى ينادينا في هذا الحديث العظيم نداء رقيقا رفيقا ويعيده كثيرا: يا عبادي!! ويأمرنا بأن نسأله كل ما نريده من هداية وطعام وكساء وغفران.. الخ والله عز وجل يحب عبده الذي يلح عليه في الدعاء.. ويقول ﷺ :" ان الله لا يمل حتى تملوا" رواه البخاري ٧٣٠ ومسلم ١٨٢٤.

وهـــناك سؤال قد يجول بخاطر البعض: كم أنفق الله تعالى على خلقه منذ ان خلق آدم حـــتى الآن؟! كم من الأمطار وكم من الزروع وكم من الثمار؟! كم من الحيوانات؟ كـــم مـــن الطعـــام؟ كـــم؟ كم؟.. ان "لحم أكتافنا" كما يقولون ليس من خير آبائنا وأمهاتنا، إنما من خير وعطاء وفضل الله تعالى!! فهو وحدع المعطي وهو وحده المانع!!

ومن أسماء الله تعالى "الكريم" فهو يعطي من غير أن يسأل!! فكيفك اذا سئل؟!.

وقـــد روي أن رجـــلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أبعيد ربنا فنناديه أم قريب فنناجـــيه؟! فترل الجواب من فوق سبع سموات من قبل الخالق جل وعلا: { وإذا سألك عـــبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشـــدون } البقرة ١٨٦. لا اله إلا الله.. إن الله تعالى لم يترك نبيه ﷺ يجيب على أصحابه ولـــو تركه لأجاب وأحسن الإجابة.. ولكنه سبحانه تولى الإجابة بذاته العلية من فوق سمواتـــه السبع وكرسيه عرشه.. وقال سبحانه: (عبادي) وفي الكلمة تعطف وتكرم من الله الكريم، حيث نسب العباد إليه حتى لو كانوا عصاه أو مذنبين. ثم قال: { **فإني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان** }.. فلم يقل دعوة المؤمن أو المحسن بل الداعي، وفي هذا فتح لأبواب عطائه وكرمه تعالى.

ولـــو تأملـــنا السياق القرآني نجد أن الله تعالى أمر نبيه بقوله: قل أو فقل، وذلك عندما يســـأله قومـــه عـــن شيء ما فيقول سبحانه: { يسألونك عن الأهلة قل } الـــبقرة ١٨٩، {يســـألونك عـــن الشهر الحرام} البقرة ٢١٧، {يسألونك عن الأنفال} الأنفال١، أما عندما كان السؤال عن قرب الله أو بعده فكانت الاجابة بغير (قل)، لأن الصلة مباشرة بين الله وعبده، فكانت الاجابة أيضا مباشرة بلا واسطة!!

ويثول سبحانه: { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم } غافـــر ٦٠. إذا كان الله تعالى يأمرنا بالدعاء ويعدنا بالاستجابة.. فلماذا لا ندعوه سبحانه؟! ولماذا نعرض عنه؟!

هل نستطيع أن نستغني عنه سبحانه { ادعوا ربكم تضرّعا وخفية} الأعراف ٥٥، أي ذلا ومســكنة.. وهذا ربنا عز وجل يتحدث عن سيدنا زكريا فيقول عنه:{ إذ نادى ربه نــداء خفيا} مــريم ٣.. والاخفاء فيه اخلاص أكبروادب مع الله وصفاء نفسي وحضور قلب وبكاء عين، وكل هذا أدعى للقبول باذن الله.

أحاديث في فضل الدعاء

وهناك أحاديث كثيرة في فضل الدعاء وآدابه.. يقول ﷺ :" الدعاء هو العبادة" رواه أبو داود ١٤٧٩ والترمذي ٢٩٦٩. وقد يسأل سائل: وأين الصلاة والصوم والزكاة ؟ والاجابة أن كلمة عبادة مشتقة من العبودية.. والعبودية معناها الذل والمسكنة لله تعالى.. فالعبد فقير مسكين الى الله محتاج لمولاه في كل لحظة، وقد عبر عن ذلك أحد الشعراء بقوله:

أنا الفقير الى رب البريات — أنا المسكين في مجموع حالاتي

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة — ولا عن النفس لي دفع المضرات

والفقر لي وصف لازم أبدا — كما الغنى ابدا وصف له ذاتي

ولمـــا كان الدعاء والتضرع صورة من صور التذلل والخضوع والتعبد لله، صار الدعاء عبادة لله تعالى.

وفي قوــله تعالى:{ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، ان الذين يستكبرون عن عباتي سيدخلون جهنم داخرين} غافر ٦٠. نجد أن الله تعالى قال:{ يستكبرون عن عبادتي} لم يقل: عن دعائي، وبهذا صارت العبادة مرادفا للدعاء.

والذي لا يدعو ربه مستكبرا لأنه استنكف أن يرفع يديه الى خالقه وبارئه ورازقه ومحييه ومميــته ومطعمه وكاسيه.. سبحانه وتعالى.. وأنا أعجب أن يمر يوم أو يومان أو أكثر ولا يــرفع العبد يديه لله!! ان الله جل وعلا هو الذي يفرّج الكربات.. وقد فرج كب الأنبياء عندما دعوه ولجأوا اليه، وعبلا عن ذلك أحد الأدباء بقوله:

يا من أجاب نوحا فانتصر وحملته في فلكك المشحون

يا من احال النار حول خليله روحا وريحانا بقولك كوني

يا من أمرت الحوت يلفظ يونسا وحميته بشجيرة اليقطين

يا ربّ إنا مثله في كربة فارحم عبادا كلهم ذو النون

والعـــبد عندما يسأل خالقه ورازقه تبارك وتعالى يشعر بنوع من الفرح والسعاة، لأنه ســـأل غنيا واسعا مجيبا كريما... وما أجمل أن يسأل العبد ربه جل وعلا قائلا: يا رب، أنـــا الفقير اليك، وأنا المحتاج اليك.. خذ بيدي يا الله.. اهدني.. أعنّي.. وفقني.. وسع رزقي.. ويدعو بما يشاء.. وما عند الله أكبر.. واياك أن تسأل أحدا غير الله تعالى، فان في ذلك خضوعا وذلا لغير الله.. والمسلم لا يخضع ولا يذل الا لربه سبحانه:

لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك نقص منك في الدين

لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة الا باذن الذي سواك طينا

ولا تصاحب غنيا تستعز به وكن عفيفا وعظم حرمة الدين

واسترزق الله مما في خزائنه فان رزقك بين الكاف والنون!!

وهـــذا سيدي وسيدك وسيد ولد آدم جميعا ﷺ يقول:" ليس شيء أكرم من الدعاء" رواه الترمـــيذ الحديـــث ٣٣٧٠ والامام أحمد ٢\٣٦٢. والمسلم يسأل ربه من خيريّ الدنيا والاخرة معا.. وقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ :" ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" رواه أبو داود ١٨٩٢ والامام أحمد ٣\٤١١.

فـــالذي يلزم الدعاء لا يهلك باذن الله.. وينبغي للمسلم أن يحسن ظنه بالله تعالى.. فالله عـــند ظن عبده به.. يجيب دعوة الداع ويفرج كربه ويستر عيبه

ويقول ﷺ :" إن الله تعالى حييّ كريم، يستحي أن يرفع العبد يديه ثم يرده صفرا خائبا" رواه أبو داود ١٤٨٨ والترمذي ٣٥٥٦.. فكيف لا يستحي العبد من الرب، والرب يستحي من العبد؟!

يقول الكاتب الإسلامي **شريف كمال عزب** تذكروا يوم القيامة :

إخواني تفكروا في الحشر والمعاد، وتذكروا حين الأشهاد : إن في الحشر لزفرات، وإن عند الصراط لعثرات ، وإن عند الميزان لعبرات. وإن الظلم يومئذ ظلمات ، والكتب تحوي حتى النظرات ، وإن الحسرة العظمى عند السيئات، فريق في الجنة يرتقون الدرجات ، وفريق في السعير يهبطون الدركات، وما بينك وبين هذا إلا إن يقال فلان مات، وتقول :رب أرجعوني. فيقال :فات.

روى البخاري من أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم)

وأخرجا جميعا من حديث ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في حديث (ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم، فقيل : يا رسول الله وما الجسر؟ قال : مدحضة ومزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسك، المؤمن يعبر كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل، فناج مسلم وناج مخدوش، حتى يمر اخرهم يسحب سحبا)

لله در أقوام اطار ذكر النار عنهم النوم، وطال اشتياقهم الى الجنان الصوم، فنحلت أجسادهم، وتغيرت ألوانهم، ولم يقبلوا على سماع العذل في حالهم واللوم، دافعوا أنفسهم عن شهوات الدنيا بغد واليوم، دخلوا أسواق الدنيا فما تعرضوا لشرا ء ولا سوم، تركوا الخوض في بحارها والعوم، وما وقفوا بالاشمام والروم، جدوا بالطاعة في الصلاة والصوم ، هل عندكم من صفاقم شيء يا قوم ؟؟

قالت أم الربيع أم حيثم لولدها : يابني أل تنام ؟

قال : يا أماه، من جن عليه الليل وهو يخاف الثبات حق له أن لا ينام .

فلما رأت ما يلقى من السهر والبكاء قالت : يابني لعلك قتلت قتيلا

قال: نعم

قالت : ومن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون ؟ فو الله لو يعلمون ما تلقى من السهر والبكاء لرحموك

فقال : يا والدتي هي نفسي.

قيل لزيد بن مزيد : ما لنا لم نزل نراك باكياً، وجلا خائفا

فقال: إن الله توعدني إن عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لبكيت حتى لا تجف لي عبرة .

وكان أمد الشامي يبكي وينتحب في المسجد حتى يعلو صوته وتسيل دموعه على الحصى، فأرسل إليه الأمير وقال له: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك . وارتفاع صوتك، لو أمسكت قليلا فبكى ثم قال :إن حزن يوم القيامة أورثني دموعا غزارا فأنا استريح إلى ذرها :

ياعذل المشتاق دعه فإنه يطوي --- على الزافرات غير حاشكا

لو كان قلبك قلبه ما لمته -------- حاشكا مما عنده حاشكا

وعوتب عطاء السلمي في كثرة البكاء فقال : إني إذا ذكرت أهل النار وما يترل بهم من عذاب الله تعالى، مثلت نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يدها وتسحب إلى النار ولا تبكي ؟

وقيل لبعضهم : ارفق بنفسك، فقال :الرفق الطلب .

وقال أسلم بن عبدالملك : صحبت رجلا شهرين، وما رأيته نائما بليل ولا نهار فقلت : مالك الاتنام ؟ فقال: إن عجائب القران أطرن نومي، ما أخرج من أعجوبة الا وقعت في أخرى .

كثرفيك اللوم فاين سمعي وهم قلبي واللوم عليك منجد ومتهم ؟

قال أسهرت والعيون الساهرات نوم، وليس من جلدك إلا جلدة وأعظم، وما عليهم سهرى ولا رقادي لهم، وهل سمان الحب إلا سهر وسقم، خذ أنت في شأنك يا دمعي وخل عنهم .

أقسام المعذبين في النّار

إن الإسلام هو الدين الذي رضيه الله لعباده لقوله تعالى: {ورضيت لكم الإسلام دينا}(المائدة). وقد وعد الله من اتبع هذا الدين الحنيف جنة الخلد التي هي دار السلام جزاء لهم وترغيبا. وتوعّد من كفر به نار جهنم خالدين فيها أبدا جزاء لهم وترهيبا.

خلود الكافرين في نار جهنم:

روى البخاري أن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا صار أهل الجنّة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم". وقال تعالى: {**إنّ الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا**}(سورة الأحزاب). يؤخذ من هذا الحديث والآية أمران: الأول أنّ النّار قد خلقت وأعدت وسعرت، والثاني أنّ الكفار أهل النار خالدون في نار جهنم إلى أبد الآباد فلا يخرجون منها بل هي مقرهم ومستقرهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا وذلك جزاء لهم بما كسبت أيديهم.

والكافر يرى مقعده من النار وهو في قبره قال تعالى: {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا ءال فرعون أشد العذاب}(سورة غافر). فهذه الآية دليل على أنّ الكافر قبل أن تقوم الساعة يعذب وهو في قبره بنظره لمقعده من النار مرة في الصباح ومرة في المساء وبغير ذلك من أنواع العذاب، ويوم القيامة يساق إلى النار، قال

تعالى: {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا}(الزمر)، ونار جهنم هي أعظم نار خلقها الله، فـأقوى نار في الدنيا هي جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قال الرسول ﷺ : "إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم"(رواه الحاكم).

من أهوال نار جهنم:

وروي عن عاصم بن أبي صالح قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا ألقي الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلى جهنم وما على عظامه مزعة لحم فتضربه الملائكة بالمقامع فيهوي بها إلى قعرها فلا يزال كذلك" أو كما قال. أخرجه البيهقي.

وقال كعب الأحبار: "والذي نفس كعب بيده لو كنت بالمشرق والنار بالمغرب ثم كشف عنها لخرج دماغك من منخريك من شدة حرها، يا قوم هل بهذا قرار أم لكم على هذا صبر، يا قوم طاعة الله أهون عليكم من هذا العذاب فأطيعوه. وليعلم أنّ عذاب أهل النار يكون بالروح والجسد، وفي النار يكون جسد الكافر أكبر بكثير من جسده وهو في الدنيا، فقد روى مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع" وكما أنّ في الجنة درجات كذلك فإنّ في النار دركات ويقال أيضا درجات وذلك حسب أعمال العباد. قال تعالى: {ولكل درجات مما عملوا"}(سورة الأنعام) والمنافقون هم في الدرك الأسفل من النار وهذا المكان خاص بالكفار لا يصله عصاة المسلمين وقعر جهنم مسافة سبعين عاما في النزول، قال ﷺ : "إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها في النّار سبعين خريفا"(رواه الترمذي). ومعنى الحديث أنه قد يتكلم إنسان بكلمة لا يظن فيها سوءا وهي في الحقيقة تستوجب نزوله إلى قعر جهنم الذي هو خاص بالكفار.

حال عصاة المسلمين يوم القيامة:

أمـــا عصاة المسلمين فبعضهم يقع في نار جهنم والبعض الآخر يعفو الله عنهم فينجيهم مـــنها كـــتارك الصلاة الذي توعده الله بقوله: {فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ســـاهون}(ســـورة الماعون) وهؤلاء هم الذين يؤخرون صلاتهم عن وقتها حتى يدخل وقـــت الصلاة الأخرى بغير عذر، والعذر هنا ما يبيح الجمع من سفر أو مرض ونحوه، وقـــال صلى الله عليه وسلم في وعيد تارك الصلاة: "ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهـــد أن يدخلـــه الجنة إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة"(رواه أحمد)، فهو من أهل الكـــبائر استحق العذاب في النار بعدل الله، والمسلم العاصي إذا أدخله الله النار بمعاصيه فإنـــه لا يخلد فيها بل إنه يتعذب فيها لفترة معينة ثم يخرجه الله منها إلى الجنة، فعن جابر بـــن عـــبد الله قـــال: قال رسول الله ﷺ : "إنّ أناسا من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فـــيكونون في الـــنار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيّرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنـــتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار". ثم قرأ رسول الله ﷺ : {رُبَما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين}(سورة الحجر). وذلك لأن الكفار محرومون من رحمة الله في الآخرة لقوله تعالى: {ورحمتي وسعت كل شـــيء فســـأكتبها للذيـــن يتقون}(الأعراف) أي أن رحمة الله في الدنيا شملت المسلم والكافر ولكنها في الآخرة خاصة بالمسلمين الذين تجنبوا الشرك وماتوا مؤمنين.

فاحـــرص أخي المسلم دائما على أداء ما أمرك الله به وعلى اجتناب ما نهاك الله عنه ولا تســـتنـــزل غضب الله وسخطه واجعل هواك تبعا لشرع الله واعمل لما بعد الموت فإن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال تعالى: {فأما من طغى وءاثر الحياة الدنيا فإن الجحـــيم هـــي المـــأوى وأمـــا مـــن خـــاف مقـــام ربـــه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى}(النازعات).

تكملة عن النار أوصافها وأوصاف أهلها وطعامهم وشرابهم

إن حر نار جهنم لشدته يصهر كل ما يلقى فيه، وإن الاستعار والتأجج في جهنم يزداد باستمرار، قال الله تعالى: ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧]. وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج:١٩-٢٠]. وقال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]. وقال الرسول ﷺ : ((ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزءٌ من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله قال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها)).

وأما لونها فهو أشد سواداً من القار. قال رسول الله ﷺ : ((أترونها ــ نار جهنم ــ حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود من القار)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة)).

وفي صحيح مسلم رحمه الله من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن عمقها وبعد قعرها أنه قال: كنا مع الرسول ﷺ إذ سمعنا وجبة فقال النبي ﷺ : ((أتدرون ما هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار، الآن حين انتهى إلى قعرها)). والويل في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [إبراهيم:٢]. ورد تفسيره بأنه وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره.

ولقد جاء بيان السلاسل والأغلال والكبول والأنكال جاء بيان ذلك في عدة سور من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَ وَأَغْلَـٰلاً وَسَعِيراً﴾ [الإنسان:٤]. ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ۝ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ [المزمل:١٢-١٣]. وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ الأَغْلَـٰلُ فِى أَعْنَـٰقِهِمْ وَالسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٧٠-٧٢]. وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلاَ يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَـٰطِئُونَ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٧]. ولقد فسر زيادة العذاب في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨]. فسرت زيادة العذاب بأنها عقارب تلسعهم، العقرب كالبغلة الموكفة، وورد عن النبي محمد ﷺ قوله: ((إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة)).

إن لأهل النار مطاعم كثيرة ومشارب. إذ الطعام والشراب من لوازم الحياة، وأهل النار أحياء فيها لا يموتون إذ لو ماتوا لاستراحوا من العناء والعذاب، ولكنهم لا يموتون. كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]. ويسألون الموت ويطلبونه ولكن لا يستجاب لهم، جاء طلبهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]. وقد أخبر تعالى عن عدم موتهم بقوله: ﴿لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]. ومن طعام أهل النار الزقوم وهو ثمر يخرج من شجرة تنبت في أصل الجحيم، مذاقه مر شديد المرارة، يغص به في الحلق فلا يسوغ ولا يترل إلا بالماء الحميم، ومن

خواصه أنه يغلي في البطن غليان الماء، والمهل الذي هو أشد حرارة ومرارة وحنظلاً لها من الماء.

قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات٦٢-٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلاْثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦]. ومن طعامهم أيضاً الغسلين وهو ما تجمع من عصارة أهل النار من قيح وصديد وعرق، وما يخرج من فروج الزناة وما يسيل من لعاب شاربي الخمر في الدنيا والمغتابين والكذابين وقائلي الباطل وشاهدي الزور. ورد ذكر الغسلين في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ ٱلْخَـٰطِئُونَ﴾ [الحاقة:٣٥-٣٧]. ومن طعامهم أيضاً الضريع وهو شوك مرٌّ متناهٍ في المرارة ينشب في الحلق يسيغه الآكل بالحميم، فهو لا يسمّن آكله ولا يغنيه من جوع، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ۝ لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٦-٧].

ومن بعض مشارب أهل النار الحميم وهو ماء حار يجري من عين آنية أي أن درجة حرارة الماء فيها قد انتهت إلى ما لا مزيد عليها أبداً، ومن خواص الحميم أنه يصهر به ما في بطونهم والجلود ويقطع أمعاءهم. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٢-٥]. وقال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾ [محمد:١٥]. ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج:١٩-٢٠]. ومن شرابهم كذلك ماء الصديد وهو ماء كدر يحوي كميات من الصديد يغص به شاربه حتى لا يكاد يسيغه ويعاني منه آلاماً لا

يعلم مداها إلا الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۞يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٥-١٧]. ومن الشراب أيضاً ماء شبيه بالمهل إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه، شوت حرارته جلدة وجهه قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]. ومن الآيات التي تجمع بين الطعام والأكل من شجر الزقوم حتى تمتلئ بطونهم والشراب من الماء البالغ نهاية الحرارة الذي يشربون منه ولا يروون بل يزيدهم عطشاً كالنياق العطاش التي لا ترتوي أبداً لإصابتها بذلك المرض ولذلك سميت بالهيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۞لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۞ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۞لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۞فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۞فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۞فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۞هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٦].

ومن شرابهم أيضاً ماء من نهر الغوطة وهو ماء متجمع مما يسيل من فروج الزواني من النساء، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: ﴿ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع الرحم، وعاق والديه﴾. ((ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة، قيل وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن)). وفي الحديث الآخر: ((كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل يا رسول الله: وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار القيح والدم)). وإن تفاوت العذاب بين أهل النار في دار البوار ثابت مقطوع به، وهو تابع لتفاوت أعمالهم وما كسبوا من خير وشر في هذه الحياة الدنيا. روى الإمام مسلم رحمه الله أن النبي ﷺ قال: ((أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه)). وخفف عذاب أبي طالب إلى هذه الدرجة من أجل ما قدمه من خدمات للإسلام ممثلة في شخص الرسول ﷺ ، وروى البخاري رحمه الله

أن النبي ﷺ قال: ((إن أهون أهل النار عذاباً رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم)). روى كذلك الإمام مسلم رحمه الله قوله ﷺ : ((منهم ــ أي من أهل النار ــ من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ،ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته)).

أيها المسلمون: من منا يستطيع أن يتحمل اللهب المتصاعد من عود الثقاب من الكبريت، بل من منا يستطيع أكثر من ذلك يعرض يده أو رجله أو أي جزء من جسمه لأفران البتوجاز أو المخابز أو أي نار أخرى أو يستطيع أن يسكب على جسمه ماءً حاراً من السخان أو ماء مغلياً على النار فإذا كنا لا نستطيع ذلك ولن نستطيع لأن أجسامنا لن تقوى على النار، فعلينا أن نعمل على إبعاد أنفسنا وأهلينا ومن ولينا أمره عن نار الآخرة كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

فالعويل والبكاء من لوازم معاناة المخاوف والآلام ومقاساة الشدائد والأهوال، ودار البوار وسكانها لا يبرحون يتجرعون الغصص ويتذوقون مر العذاب، حزنهم دائم، وعذابهم لا ينقطع ولا يخف، ومن هنا لا يستغرب منهم البكاء والعويل، ولا يستنكر عليهم الصياح والنواح فهم يتضاغون فيها ويصطرخون، يدعون بالويل والحسرة والثبور.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان:١٣]. أي هلاكاً حيث يدعون على أنفسهم بالهلاك فيقال لهم: ﴿لاَّ تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُوراً وٰحِداً

وَٱدْعُواْ ثُبوراً كَثيراً﴾ [الفرقان:١٤]. وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً غَيْرَ ٱلَّذى كُـنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧]. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٠]. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوٰتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُـواْ أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مّن رَّبّكُـمْ مّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُـمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ۞أَن تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطَتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٥-٥٦]. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ۞يٰوَيْلَتَا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ۞لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلإِنْسَـٰنِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]. عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يا أيها الناس أبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع، فيسيل _ يعني الدم _ فيقرح العيون)).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن أهل النار يدعون مالكاً _ أي خازن جهنم _ فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يقول إنكم ماكثون، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾.[المؤمنون:١٠٧]. فلا يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول: ﴿قَالَ ٱخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]. ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها شهيق وآخرها زفير.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوٰزِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۞تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۞أَلَمْ تَكُنْ ءايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذّبُونَ ۞قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالّينَ ۞رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ

عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ۝قَالَ ٱخْسَئُواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣-١١١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۝أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٨٠]. وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج:١٩-٢٢].

فيا أيها المسلمون: لنتذكر هذه الأيام بمناسبة الامتحانات الدنيوية للأولاد ذكوراً وإناثاً لنتذكر كيف الإعداد والاهتمام من أجل امتحانات دنيوية ومن أجل الحصول على النجاح والفوز كيف يكون الاستعداد من قبل الآباء والأمهات والأولاد ذكوراً وإناثاً؟ فما بالنا لا نعد العدة في فترة الامتحان والاختبار الطويلة في زمن المهلة وهي عمر كل إنسان منا في هذه الحياة الدنيا سواء طال عمره أو قصر، وهي مدة كافية لأداء الامتحان من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار. فعلينا أن نغتنم الفرصة والمهلة التي أعطانا الله إياها في هذه الحياة الدنيا وعلينا أن ننتبه ونفيق من غفلتنا ونتذكر ونمعن النظر ونتأمل ونحن نتلو كتاب الله أو تتلى علينا آياته، ولنتذكر الموت ويوم الجزاء والحساب ولنتذكر الجنة والنار، نقرأ الآيات المشتملة على النعيم الدائم في الجنة

وأوصاف ذلك جملة وتفصيلاً فيما ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول ﷺ وكذلك ما ورد عن النار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

علينا أن نتأمل ونتفكر ونتعظ ونفرق بين النعيم الدائم في الجنة واللذة العاجلة في الحياة الدنيا، اللذة المحرمة التي يرى صاحبها أنه استمتع بها لدقائق ولحظات لا تطول وتعقبها ساعات الحسرة والندامة في الدنيا قبل الآخرة، وإلى أي مدى تستمر معه تلك النشوة والفرح بارتكاب ذلك المحرم، لو تدبر وتأمل حاله ذلك المسكين وأفاق من غفلته لأدرك الفرق الشاسع الذي لا مقارنة ولا تقارب معه بين هذا النتن والعفن وبين النعيم الأبدي السرمدي، ولو علم عواقب اتباعه للشهوات وارتكاب المحرمات في الدنيا لو علم مصيره في الآخرة إن مات على ذلك ما هو العقاب الذي سيجره على نفسه لابتعد وانزجر وكف نفسه عن إعطائها شهواتها وما تميل إليه وألجمها بزمام التقوى وحبسها عما يوردها المهالك وسجنها خاصة عندما يزين لها الشهوة شياطين الإنس والجن في سجن لا أغلال فيه ولا آصار، بل هو تقرب إلى الحي القيوم بكف النفس عن المعاصي والآثام لنيل الرضا والفوز بالجنات والبعد عن النيران، يتذكر دائماً أن الحياة الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ويفعل الأسباب المنجية له من الهلاك والخسران ويطمع في رحمة الله ويخاف عقابه ويرجو رحمته ويدعو الله تعالى بحسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار. ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾. ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فناء النار

فإن هذه المسالة قد بحثت وقـتـلت بحثا منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة الهدى والدين وعلماء سلف الأمة المتقدمين منهم والمتأخرين اختلف السلف فيها على قولين على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة .

القول الأول :

عليه جمهور سلف الأمة وهو خلود النار ودوامها وعدم فنائها .

القول الثاني :

لبعض السلف وهو أن النار تبقى أحقاب ثم تفنى ويخرج منها أهلها إذا تهذبوا وتطهروا وزال عنهم درن الكفر بما ذاقوه من العذاب .

وكل من القولين مأثور عن السلف، وينظر في أدلة الفريقين فأيها كان أقوى دلالة كان هو القول الراجح .

فأما القول الأول وهو قول الجمهور فمن أدلته :

قوله تعالى : {وما هم منها بمخرجين} ، وقوله تعالى : {إن عذابها كان غراما} أي ملازما دائما، وقوله تعالى : {وما هم بخارجين من النار} ، وقوله تعالى : {لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون} ، وقوله تعالى : {خالدين فيها أبدا} ، وقوله تعالى : {لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} .

أما القائلين بفناء النار فمن أدلتهم قوله تعالى : {قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء ربك إن ربك حكيم عليم} ، وقوله تعالى : {فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد} ، وجه الدلالة من الآيتين أنه لم يأت بعد الاستثناء ما يدل على دوام النار كما

جاء في شأن الجنة مما يدل على دوامها في قوله تعالى : {عطاء غير مجذوذ} ، فدل على أن النار تفنى والجنة نعيمها دائم لا ينقطع، وقوله تعالى : {لابثين فيها أحقابا} وجه الاستدلال من الآية أن الأحقاب أوقات معدودة محصورة لا بد لها من نهاية. كما استدلوا بآثار عن الصحابة كأبي هريرة وابن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه . قالوا ومن حيث المعنى فإن عذاب الكفار مراد بالعرَض ونعيم الجنة مراد لذاته فما كان مرادا بالعرَض فإنه ينتهي بانتهاء ذلك العرض، وما كان مرادا لذاته فإنه يدوم ولا ينقطع، ومعنى مراد بالعرَض يعني أن تعذيبهم عَرَض لأجل كفرهم فإذا نقوا وتطهروا بالعذاب زال عنهم درن الكفر فأصبح تعذيبهم لا حكمة فيه إلى غير ذلك مما لم يذكر.

فإذا كان الأمر كذلك أعني أن المسألة فيها قولان للسلف فمن اجتهد وهو من أهل الاجتهاد وأخذ بأحد القولين فإنه لا ينكر عليه ولا يضلل ولا يبدع، لأن السب والتجريح و تضليل الآخرين وهم ليسوا كذلك فيه إثم ومعصية ويترتب عليه الاختلاف والفرقة التي نهى الله عباده عنها، ويفرح به أعداء الجميع من يهود ونصارى وعلمانيين وحداثيين ومنافقين وغيرهم من أصناف الكفار الذين يسرهم كثيرا حصول الاختلاف والفرقة بين المسلمين، وإني أهيب بأبنائي من شباب، وإخواني من طلبة العلم أن يكفوا عن إثارة هذه الفتنة وأن يوجهوا أقلامهم إلى الرد على أعدائهم كلهم من يهود ونصارى وعلمانيين وغيرهم من أنواع الكافرين، فإن ذلك أحرى بأن تتحد كلمة الأمة وعلمائها، وأن يفوتوا بذلك على الأعداء فرصتهم، هذا أملي في أبنائي الشباب وإخواني طلبة العلم والمعنيين في هذه المسألة أن يستجيبوا لندائي هذا ويوقفوا هذه الأعمال التي لا يستفيد منها إلا العدو .

الإنفاق على الأولاد

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا

"والذين إذا أنفقوا" على عيالهم

"لم يسرفوا و لم يقتروا" بفتح أوله وضمه: أي يضيقوا

"و كان" إنفاقهم

"بين ذلك" الإسراف والإقتار

"قواما" وسطا

وقال الكاتب الإسلامي *شريف كمال عزب في لقاء لسيادته بالقناة الرابعة المصرية في حديث كان بعنوان الخلافات الزوجية وأثرها على إنحراف الأبناء :*

٤٠ طريقة لتربية الأولاد نذكرها بهذه المناسبة :

١- عقد درس يومي أو أسبوعي- على الأقل- مع أهل البيت، ويستحب التنويع فيه؛ فمرة في السيرة، وأخرى في الفقه، وثالثة في العقيدة، ورابعة في الآداب والسلوك، وخامسة في المناقب والفضائل.

ومنه يتعلم الأهل الانضباط في الزمان والمكان، ويزيد علمهم، ويزكو عملهم، وتقوى صلتهم ببعضهم، وتزيد ثقتهم بولي أمرهم.

*وقت مقترح: بعد فجر الخميس لأنه يوم إجازة، أو بعد عصر الجمعة.

٢- حفظ القرآن الكريم، وذلك بتحديد آية أو جملة آيات، تعطي كواجب صباحي لهم، ويتم تسميع المقطع فيما بينهم في وقت محدد متفق عليه بينهم.

عن بريدة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : "من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن).

قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: (توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرآت المحكم).

* يمكن استغلال الركوب الجماعي للسيارة للتسميع والمراجعة وتصحيح التلاوة، وسماع الآيات من القراء والمشايخ.

٣- حفظ أحاديث رسول الله ﷺ ، وينتقى لهم ما يناسبهم، وما تدعو إليه الحاجة.

وطريقته: بأن يكتب الحديث في ورقة صغيرة، وتصور بعدد من له القدرة على الحفظ، وتوزع في الصباح عليهم، ويتم التسميع في وقت محدد منضبط.

* يمكن الاستفادة من كتب الحديث كالصحيحين، والأربعين النووية ورياض الصالحين، وصحيح الكلم الطيب، وصحيح الترغيب والترهيب، وصحيح الجامع.

* يستحب- لربط النشاط ببعضه- تفسير الآيات المحفوظة وشرح الأحاديث في الدرس الأسبوعي.

٤- إنشاء مكتبة مقروءة في البيت تناسب جميع المستويات، وتتوافق مع كل الأذواق المشروعة، لتصبح حديقة غناء، يدخل إليها من يريدها فيجد فيها بغيته؛ ففيها ما يناسب طالب العلم، والرجال والنساء والأطفال، والمتخصص، والمطلع.

٥- إعداد مكتبة سمعية: تحتوي على أشرطة متنوعة تناسب جميع الأعمار والمستويات، وتتناول أكثر القضايا والموضوعات، وتتوافق مع الأذواق والرغبات المشروعة، للعلماء والمشايخ والدعاة، ويتم تحريك المكتبة، بعدة طرق منها:

- السماع للأشرطة.
- تفريغها على الورق.
- تلخيص ما ورد فيها.
- فهرسة موضوعاتها.

* يمكن تجهيز ركن في المكتبة للإهداء والدعوة.

٦- القصص: وهي من جند الله تعالى، يحرك الله بها العقول، ويثبت بها القلوب، وتسنبط منها الدروس والعبر، ويمكن استخدامها كوسيلة دعوية من خلال سرد بعض القصص النبوية، وما ورد في كتب التاريخ على الأهل وخصوصا في حال التعب البدني والنفسي.

فما أجمل أن يسمع الشباب في المترل قصة أصحاب الأخدود!

وما أفضل أن تسمع الزوجات قصة حديث أم زرع!

وما أعظم أن يسمع الكبار بعض قصص الأنبياء والمرسلين- صلى الله عليهم أجمعين!

٧- الاشتراك في مجلات دورية ذات طابع ومنهج إسلامي منضبط، سواء كانت أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية، وفي ذلك دعم للمجلة لتستمر في العطاء، والأهم أن يوجد للأهل بديل إسلامي مبارك وسط هذا الزيف الإعلامي الذي ملئت به البيوت.

*يمكن أن تكون قسيمة الاشتراك في المجلة هدية ومكافأة جميلة لواحد من أهل البيت أجاد أو أفاد في عمل أو مناسبة.

٨- التسجيل في دور وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، سواء للكبار في المساجد أو في دور الحافظات للنساء، وخصوصا التحافيظ التي بها نشاط دعوي مميز.

وهذه الفكرة من أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلم في تربيته لأهله؛ فالمرأة ستجد من الصالحات في هذه الدور ما يغنيها عن كثير من مريضات القلوب فارغات العقول.

*يوجد بكثير من دور التحافيظ روضة للأطفال يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة وبعض الآداب الإسلامية المناسبة لأعمارهم.

٩- حضور المحاضرات العامة في المساجد والمناشط الدعوية كالدورات العلمية، وفي ذلك من الفائدة ما فيه من الأجور المترتبة عليه، وتكثير سواد الصالحين، والاستفادة مما يطرح من العلماء والدعاة وطلاب العلم.

عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ :((لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنوكم)).

*للمحافظة على المعلومات المستقاة من المحاضرة أو الدرس يستحب طرح بعض الأسئلة عنها أو تلخيص ما ورد فيها.

١٠- طلب الزيارة للبيت من الدعاة وطلاب العلم وطرح القضايا التي يحتاجها البيت بالتلميح والتصريح حسبما يقتضيه الحال.

وخصوصا الداعيات، ومن عرفن ببذل الخير للغير، فيا له من أثر ما أبلغه! فالمرأة تتأثر بما ترى أكثر مما تسمع.

١١- السبورة: ويتم ذلك بتعليق سبورة في أحد الجدر البارزة في البيت مما يقع عليه النظر كثيرا، يكتب فيها ما يستفيد منه الأهل كحكمة اليوم، وبعض الآيات والسور، وخصوصا الأذكار، فمع كثرة النظر إليها يعلق شيء منها بالعقل، وبشيء من التركيز عليها تحفظ عن آخرها.

١٢- المسابقات الثقافية: وتكون بإعداد جملة من الأسئلة المناسبة لقدرات ومهارات الموجودين، وعليها بعض الجوائز المناسبة، وأفضل أوقاها الرحلات، والترهات خارج المترل لشغل الوقت بما ينفع، ولزرع روح التنافس - في الخير- فيما بينهم، وتوصيل بعض المعلومات إليهم من طرف خفي! عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ : "أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها)) ((فوقع في نفسي النخلة، فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر، فلما لم

يتكلما، قال رسول الله ﷺ : (هي النخلة). فلما خرجت مع أبي، قلت: يا أبتاه وقع نفسي النخلة. قال: ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إلى من كذا وكذا.

* ليس المقصود من الأسئلة التعجيز، وإنما الهدف توصيل رسالة معينة عن طريق السؤال والجواب.

١٣- يسمع الرجال خطب الجمعة والمواعظ والدروس في المساجد وغيرها، فما نصيب أهل البيت منها؟!

إن من أعظم النفع لهم أن يلخص الرجل ما سمع منها في ذهنه أو في ورقة، لينقله إليهم حال رجوعه لهم، فيثبت ما سمع في ذهنه، ويستفيد منه من لم يسمعها.

١٤- إشراكهم في الشعائر التعبدية التي تحصل في المواسم الشرعية، كالمشاركة في عيد النحر بذبح الأضاحي، وتوزيع زكاة الفطر في رمضان على مستحقيها.

١٥- ينتقي بعض الكتب المفيدة، ويكلف أهل البيت كلهم أو بعضهم بتلخيص ما فيها من معلومات، وإعداد تقرير موجز عن الكتاب، ولا بأس من تكريمهم بجوائز كحوافز.

١٦- ربطهم بكبار العلماء وأهل العلم الأمناء، وذلك بإعداد قائمة بأسماء العلماء والمفتين، وأرقام هواتفهم، وأرقام مكاتب الدعوة والإفتاء، وتعليقها في مكان مناسب في البيت، ليتصل الأهل بالعلماء في كل قضية تعن لهم أو تقع عليهم، وليستقوا بدلوهم من مورد العلماء الرقراق بصفاء المعتقد ونقاء المنهج، والمتدفق بصلاح المسلك وصدق الديانة.

١٧- الحرص على السكن بجوار المساجد، ليسمع أهل البيت الأذان والخطب والمواعظ والدروس، وليشاركوا في الأنشطة الدعوية والاغاثية التي تقام فيه.

١٨- استغلال الفسح والنزهات في إثراء معلوماتهم وزيادة تحصيلهم العلمي والمعرفي.

* رأيت في حديقة الحيوان من الزم أبناءه بورقة وقلم يكتبون المعلومات العلمية عن كل حيوان أو طائر يرونه.. ماذا يأكل ويشرب؟ وأين يعيش؟ وأين ورد ذكره في القرآن

الكريم أو السنة النبوية؟ وهل هو مأكول اللحم أو أنه محرم والعلة في ذلك؟ وهل هو مستأنس أو أنه وحشي؟

وهم- في حرص شديد!- يتمتعون بما يرون، ويكتبون ما يسمعون، ويتعلمون وهم يلعبون.

فتحسرت على من يضيع وقته في الملاهي والمأكولات دون تزكية للنفس أو إثراء للمعلومات!

١٩- اقتناء الحاسب الآلي كبديل مناسب لقنوات التخريب، مع وجوب السيطرة عليه، وضبط ما يعرض فيه.

* توجد برامج إسلامية رائعة كبرنامج القرآن الكريم والحديث الشريف وبعض الكتب المستنسخة فيه، وأحسب أننا في زمن نحتاج فيه هذه الثورة العلمية فيما يعود على ديننا ودعوتنا وعلينا بصلاح وخير.

* ويمكن استخدام شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله تعالى، والذود عن حياض الدين ضد انتحال المبطلين وتحريف الغالين، مع وجوب الحذر منها والمراقبة لها.

٢٠- استخدام الفيديو- لمن يدين لله تعالى بجوازه- كوسيلة تعليمية وتربوية وتثقيفية وترفيهية، وعرض البرامج الإسلامية المناسبة الخالية من المخالفات الشريعة.

* ينبغي تحديد وقت المطالعة فيه، ومراعاة الضوابط الطبية لاستخدامه.

٢١- الألعاب الترفيهية التي تنمي الذكاء وتقوي الذاكرة وتزيد في المعلومات، وتكسب بعض المهارات الفكرية والعقلية كالمكعبات وبعض الألعاب من المحرمات (الصور، القمار، التجسيم المحرم، المعازف، المعتقدات الفاسدة، الصلبان، الجرس، وبعض شعائر الديانات الباطلة..).

٢٢- الاستماع لإذاعة القرآن الكريم، ومحاولة تمديد شبكة من المكبرات والسماعات دخل المترل لسماع هذه الإذاعة المباركة، وخصوصا مكان تواجد الأسرة بكثرة مثل المطبخ وغرفة الجلوس.

٢٣- تسجيل الأبناء والبنات في مدارس تحفيظ القرآن الكريم الحكومية أو الأهلية أو المعاهد العلمية الشريعة والكليات الشرعية التخصصية في الجامعات، وتشجيع البارزين منهم في ذلك بمواصلة الدراسة. للمستويات العليا.

٢٤- استغلال وقت ركوب السيارة مع الأسرة لتنفيذ برنامج إلقائي منوع كهيئة الإذاعة، فهذا للتقديم وهذا للتقييم، وآخر يشارك بآية، وغيرها بتفسيرها والتعليق عليها، وآخر بحديث شريف، أو حكمة مفيدة أو قصة معبرة أو موقف مؤثر أو حداء جميل أو طرفة مباحة فهو برنامج متكامل منهم وإليهم.

* يمكن تكريم أفضل مشاركة في البرنامج- ولو بالثناء والإطراء-.

٢٥- الأمر بالعبادة والإلزام بها، والتعويد عليها، مثل الأمر بالصلاة، والسؤال عنها، وتفقد من يقصر فيها، ومحاسبة ومعاقبة من يتهرب منها.

قال تعالى: {وأمر أهلك بالصلاة} [طه: ١٣٢].

عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ : ((رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)).

* يستحب ترغيبهم في النوافل كالوتر والضحى والسنن والرواتب وإعطائهم جوائز وحوافز عليها.

٢٦- الصيام المشترك من أهل الدار جميعا، ليس في الفريضة فقط، بل حتى في النوافل، كصيام يومي الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وست من شوال، ويوم عاشوراء وتاسوعاء، ويوم عرفة لغير حاج، وصيام داود- عليه السلام-. عن الربيع بنت معوذ- رضي الله عنها- قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار، التي حول المدينة: "من كان أصبح صائما، فليتم صومه. ومن كان أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه. فكنا، بعد ذلك نصومه، ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد. فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه عند الإفطار". في رواية: "ونصنع لهم اللعبة من العهن، فنذهب بها معنا، فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم، حتى يتموا صومهم".

* يمكن تكريمهم على هذا الصيام بجلب الطعام الذي يحبونه على مائدة الإفطار أو الخروج بهم في نزهة.

٢٧- تفطير الصائمين في البيت والمسجد والحارات الشعبية للأسر الفقيرة، ويتم ذلك بمشاركة جميع الأهل، فالنساء للإعداد والطبخ، والرجال للتوزيع والتقديم.

٢٨- السفر التعبدي للمسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي بالمدينة، والمسجد الأقصى بالشام، قريبا- إن شاء الله- والمكث بجوارها لعدة أيام، وخصوصا في شهر رمضان المبارك.

* يستحب تذكيرهم بسيرة النبي ﷺ ومواقفه الشريفة، ومآثر صحابته الكرام وبذلهم وتضحياتهم من أجل دينهم في كل موقف وعند آية مناسبة، واستغلال البقاع للتذكير بالوقائع من غير تكلف أو إحداث.

٢٩- بث روح التنافس بين الأبناء الذكور على المسابقة إلى المسجد والحرص على الصف الأول، وإعداد جدول لهم بذلك، لتكريم المثابر الفائز، ومحاسبة المقصر العاجز.

* يمكن التنسيق مع إمام المسجد للثناء على الفائز وتكريمه والدعاء له.

٣٠- خروج الأهل للعبادات التي يشرع للجميع الخروج إليها كصلاة العيدين والاستسقاء، حتى وإن كانت النساء قد أصبن بالأعذار الشرعية كالحيض والنفاس ليدركن الخير مع الناس.

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "كان رسول الله ﷺ - يأمر بناته ونسائه أن يخرجن في العيدين)).

٣١- تدريبهم على الصدقة والبذل في سبيل الله تعالى وإعطاء الفقراء والمساكين من مال الله الذي آتاهم.

فعندما يرى الوالد مسكينا أو فقيرا، فإنه يعطي أحدا من أهل البيت مبلغا من المال، ويأمره أن يعطيه للفقير، ويحتسب الأجر وهكذا يربي فيهم حب البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله تعالى.

* الذكور مع الذكور، والإناث مع الإناث.

٣٢- تجهيز صندوق خيري جميل المنظر لجمع المال للمشاركة في أفعال الخير، ويأمرهم بوضع المال فيه، ويوضع في مكان بارز ومناسب في البيت.

ويحتوي هذا الصندوق على عدة خانات، فمنها جزء للمشاركة في بناء المساجد، وآخر للدعوة إلى الله تعالى، وآخر لطباعة الكتب، وآخر لكفالة الأيتام ورعايتهم، وآخر لمجالات خيرية ودعوية مختلفة.

* يمكن للضيوف المشاركة والمساهمة فيه.

* يفتح الصندوق- بعد حين- بمحضر الجميع، ويشاركون جميعا في عد المال، وتوزيعه، ليتولد فيهم حب العمل الجماعي.

٣٣- القيام بعمرة جماعية مع الأهل، وتعليمهم شعائر ومشاعر هذا النسك المبارك.
كانت أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- إذا مرت بالحجون، تقول: "ﷺ ، لقد نزلنا هاهنا ونحن يومئذ خفاف الحقائب، قليل ظهرنا، قليلة أزوادنا، فاعتمرت أنا وأختي عائشة والزبير وفلان وفلان..)).

٣٤- الحج مع حملة مناسبة أو مع مجموعة مباركة تتميز بحسن الاستقامة، وجدية الالتزام ، مع أهمية التركيز على النشاط الدعوي في هذه الرحلة المباركة.
عن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ لقي ركبا بالروحاء، فقال: (من القوم) قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: (رسول الله! فرفعت إليه امرأة صبيا، فقالت: ألهذا حج؟ قال: (نعم، ولك أجر).

٣٥- متابعتهم على الأذكار اليومية (الذكر المطلق- والذكر المقيد بزمان أو مكان أو عدد أو صفة) كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات والأحوال والمناسبات، وإشعارهم بأهميتها، وما يترتب عليها من حفظ وصيانة في الحياة الدنيا، وأجور عظيمة وحسنات كريمة في الدار الآخرة.
ويكون ذلك بالسؤال عنها، والتذكير بها، ولإيقاعها أمامهم، وبالمدح لمن فعلها، والثناء على من قام بها.
عن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن جويرية- رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: ((ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟! قالت: نعم.قال النبي ﷺ : ((لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه وزنة عرشه، ومداد كلماته)).

وعن علي- ﷺ - أن فاطمة- رضي الله عنها- اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها.. فقال رسول الله ﷺ لهما: "ألا أعلمكما خيرا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم)).

٣٦- مشاركة الجيران في أفراحهم وأتراحهم، بل حتى في الطعام والشراب، وطبعهم على هذا الخلق الجم، وهذه المشاركة الفعالة.

عن أبي ذر- ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا صنعت مرقة فاكثر ماءها، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف ".

٣٧- تحذيرهم من الحرام، والأخذ على يد مرتكبه، وتذكيرهم بالمراقبة الإلهية لهم، والمعاقبة الربانية على قبح فعلهم، ليستقر في نفوسهم شناعة الحرام، وقبح الإجرام، وسوء السيئات والآثام.

عن أبي هريرة- ﷺ - قال: أخذ الحسن بن علي- رضي الله عنهما- تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ :" كخ.. كخ، ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ".

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا- تعني: قصيرة- فقال: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجتها ".

٣٨- ترغيبهم في التصدق بما هو قديم ونافع كالملابس القديمة، والأواني المستخدمة، والأثاث المستعمل على المحتاجين لها والراغبين فيها، بدلا من إلقائها، والتخلص منها.

٣٩- تحذيرهم من التبذير والإسراف في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومركبهم ومسكنهم وجميع شؤونهم.

* مثاله: أن يأكل كل واحد منهم ما يسقط منه من طعام طيب على سفرة الطعام حتى لا يرمى في القمامات.

عن جابر- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان .

* أو جمع ما يبقى من طعام لتأكله الحيوانات الأليفة المستأنسة أو الطيور كالحمام والدجاج، فـــ" في كل كبد رطبة أجر".

٤٠- متابعتهم على الأعمال الحميدة والأقوال المفيدة في مسلكهم اليومي، والحرص على تحليهم بالآداب الشرعية كآداب الطعام والشراب واللباس والنوم والاستئذان والدخول و الركوب.

ويشمل ذلك تعليمهم إياها، وتعويدهم عليها، وتذكيرهم بها، وترغيبهم فيها.

عن عمر بن أبي سلمة- رضي الله عنه - قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ : يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك .

وفي لقاءات الشنقيطي يقول عن حقوق الأبناء

فسيكون حديثنا اليوم عن حقوق الأولاد هذه النعمة العظيمة التي أمتن الله بها على عباده وهي نعمة الولد ؛ إنما تكون نعمة حقيقية إذا قام الوالدان بحقها وحقوقها وأحسنا في رعايتها ، وقد جاءت نصوص كتاب الله وسنة النبي-ﷺ- تبين المنهج الأكمل والطريق الأمثل في تربية الأولاد .

الأولاد ... نعمة من نعم الله-عز وجل- ، هذه النعمة رفعت الأكف إلى الله بالضراعة أن يكرم أصحابها بها، فقال الله عن نبي من أنبيائه : { رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } .

وقال الله عن عباده الأخيار : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً } .

الأولاد والذرية تقر بهم العيون وتبتهج بهم النفوس وتطمئن إليهم القلوب إذا طابوا وقام الوالدان على رعاية الأولاد والعناية بهم وأداء حقوقهم كاملة على الوجه الذي يرضي الله-عز وجل- .

وحقوق الأولاد قسمها العلماء إلى قسمين :

القسم الأول : ما يسبق وجود الولد .

والقسم الثاني : ما يكون بعد وجوده . فالله حمل الوالدين المسئولية عن الولد قبل وجود الولد وحملهما المسئولية عن تربيته ورعايته والقيام بحقوقه بعد وجوده .

فأما مسئولية الوالدين عن الولد قبل وجوده فإنه يجب على الوالد ويجب على الوالدة أن يحسنا الإختيار ، فيختار الأب لأولاده أما صالحة ترعى حقوقهم وتقوم على شئونهم ، أماً أمينة تحفظ ولا تضيع وعلى الأم أيضاً أن تختار زوجاً صالحاً يحفظ أولادها ويقوم على ذريتها فاختيار الزوج والزوجة حق من حقوق الولد ، ولذلك قال-ﷺ-: ((تنكح المرأة لأربع ، لدينها وجمالها ومالها وحسبها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك)) . اظفر بذات الدين حتى ترعى الذرية وتقوم على إصلاحها وتربيتا على نهج ربها ، اظفر غنيمة وفوز .

وكذلك المرأة تختار الزوج الصالح الذي ترضى دينه وأمانته وخلقه وإذا أساء الرجل في اختيار زوجته ونظر إلى حظه العاجل من جمال ومال ونسي حقوق أولاده فإن الله يحاسبه حتى ذكر بعض العلماء : أن الزوج لو أختار الزوجة وعلم أنها لا تحسن إلى ذريته من بعده فإن الله يحمله الإثم والوزر لما يكون منها من إساءة إلى ولده ، وكذلك المرأة إذا لم تحسن الاختيار لزوجها وعلمت أنه زوج يضيع حقوق أولاده وفرطت وتساهلت وضيعت فإن الله يحاسبها عما يكون من إثم ذلك الزوج وأذيته لأولادها ، حق على الوالدين أن يحسنا الإختيار وأن يكونا المنبت الطيب هو الذي يبعث عنه

الإنسان ، فالناس معادن كما أخبر سيد البشر-ﷺ- فيهم المعدن الكريم الذي طابت أصوله وإذا طابت الأصول طابت الفروع .

إن الأصول الطيبات لها فروع زاكيه ، والله-تعالى- يقول : { ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ } فإذا كان معدن المرأة كريماً من بيت علم أو دين أو عرف بالصلاح والإستقامه فإنه نعم المعدن ونعم الأمينة التي ستحفظ الأولاد والذرية في الغالب ، وكذلك الرجل إذا كان معدنه طيباً فإنه سيكون حافظاً لأولاده ، ولا يعني هذا أن المرأة إذا ابتليت بزوج مقصر أنها تيأس بل ينبغي عليها أن تحاول وأن تستعين بالله في إصلاح ذريتها وأولادها فإن الله-عزوجل- يقول : { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ } فربما يكون الزوج غير صالح ؛ ولكن الله يخرج منه ذرية صالحة وقد يكون الزوج صالحاً ويخرج الله منه ذرية غير صالحة .

أخرج الله من أبي جهل عكرمة وهو من خيار أصحاب النبي-ﷺ- وقائد من قواد المسلمين وعظم بلاؤه في الدين وقد يخرج الميت من الحي كما في ولد نوح-عليه السلام- .

فالمقصود أن الأصل والغالب أنه إذا طاب معدن المرأة أن يطيب ما يكون منها من ذرية هذا هو الحق الأول ، وإذا أختار الإنسان الزوجة فمن حقوق ولده أن يسمي عند إصابة أهله ؛ لأن النبي-ﷺ- ذكر التسمية عند الجماع أنها حرز وحفظ من الله للولد من الشيطان الرجيم قال العلماء : وهذا حق من حقوق الولد على والده إذا أراد أن يصيب الأهل .

وإذا كتب الله بخروج الذرية فليكن أول ما يكون من الزوج والزوجة شكر الله-عزوجل- من أراد أن يبارك الله له في نعمة من نعمه فليشكر الله حق شكره ؛ لأن النعم لا يتأذن بالمزيد فيها والبركة إلا إذا شكرت ، وإذا نظر الله إلى عبده شاكراً لنعمه بارك له فيما وهب وأحسن له العاقبة فيما أسدى إليه من الخير .

فأول ما ينبغي على الوالد والوالده إذا رأيا الولد أن يحمدا الله على هذه النعمة وأن يتذكرا العقيم الذي لا ذريه له وأن يسأل الله خير هذا الولد وخير ما فيه فكم من ولد

أشقى والديه وكم من ولد أسعد والديه فيسأل الله خيره وخير ما فيه ويستعيذ به من شره ويعوذ بالله من ذرية السوء .

ثم إذا كتب الله ولادة الولد فهناك حقوق أجملها العلماء منها حق التسمية أن يختار له أفضل الأسماء وأكرمها لأن الأسماء تشحذ الهمم على التأسي بالقدوة ، ولذلك قال بعض العلماء : خير ما يختار الأسماء الصالحة وأسماء الأنبياء والعلماء والفضلاء لأنها تشحذ همة المسمى إلى أن يقتدي وأن يأتسي قال-ﷺ- كما في صحيح البخاري : ((ولد لي الليلة ابن سميته على اسم أبي إبراهيم)) فسمي إبراهيم على اسم أبيه ، ولذلك قالوا : أنه يراعى في الاسم أن يكون اسماً صالحاً ولا يجوز للوالدين أن يختارا الاسم المحرم وهو الاسم الذي يكون بالعبودية لغير الله كعبد العزى ونحو ذلك من الأسماء كعبد النبي وعبد الحسين ونحو ذلك من الأسماء التي يعبد فيها البشر للبشر ؛ وإنما ينبغي أن يعبد العباد لله جلا جلاله وهي الأسماء المحرمة .

كذلك ينبغي أن يجنب الولد الأسماء القبيحة والأسماء المذمومة والممقوتة والمستوحش منها حتى لا يكون في ذلك اساءة من الوالدين للولد .

قالوا : من حقه أن يختار له أفضل الأسماء وأحب الأسماء إلى الله ما كان للعبودية لله كعبدالله ، وعبدالرحمن ونحو ذلك من الأسماء التي تكون مصدرة بالعبودية لله-ﷻ- .

وينبغي أن يجنبه كذلك ما ذكره العلماء من الأسماء المكروهة التي فيها شيء من الدلال والميوعة التي لا تتناسب مع خشونة الرجل ، والعكس أيضاً فإن البنت يختار لها الإسم الذي يتناسب معها دون أن يكون فيه تشبه بالرجال وقد جاء عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنه سمى بنته عاصية كما ذكر الإمام الحافظ أبو داود وغيره النبي-ﷺ- - اسمها إلى جميلة فقد جاء عنه ﷺ في أكثر من حديث أنه غير الأسماء القبيحة فمن حق الولد على والديه إحسان الاسم ، والأسماء تكون للوالد ولا حرج أن تختار الأم لابنها وابنتها لا حرج في ذلك ولا باس إذا اصطلحا بالمعروف ومن حقوق الولد أن

تكون التسمية في أول يوم من ولادته أو ثاني يوم أو ثالث يوم أو سابع يوم لا حرج والأمر في ذلك واسع ، وقد جاء عنهﷺ في حديث الحسن عن سمرة أنه ذكر العقيقة فقال : " كل غلام مرهون بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى " فقال بعض العلماء : تستحب التسمية في السابع ولكن الجواز يجوز في أول يوم لحديث البخاري : " ولد لي الليلة ابن سميته على اسم أبي إبراهيم " . فهذا يدل على مشروعية التسمية في أول يوم ولا حرج في ذلك والأمر واسع .

كذلك من حقه أن يختن الولد سواء كان ذكراً أو أنثي فالختان مشروع للذكور ومشروع للإناث وهذه المسألة ليست محل نقاش حتى يسأل فيها غير العلماء أو يرجع فيها إلى آراء الناس وأهوائهم ؛ وإنما ينظر فيها إلى الشرع يقول-ﷺ- : " إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل " فالذي يقول ليس في الشريعة دليل يدل علي مشروعية ختان الإناث جاهل لا يعرف ما ورد في نصوص السنه عن رسول الله-ﷺ- فإنه قال : " إذا التقى الختانان " فبين-ﷺ أن المرأة تختن كما يختن الرجل ، قال العلماء : إن هذا يخفف من حدة الشهوة من المرأة وهذا من حقها أن تختن ويراعى ختانها ، وكذلك الذكر يختن هذا إذا كان في صغره .

كذلك أيضاً من أعظم الحقوق وأجلها حسن التربية والرعاية للابن والبنت ، ولقد رغب رسول الله-ﷺ- في هذا العمل الصالح حتى ثبت في الحديث الصحيح عنه أنه قال : " من أبتلى بشيء من هذه البنات فرباهن فأحسن تربيتهن وأدبهن فأحسن تأديبهن إلا كن له ستراً أو حجاباً من النار " . فهذا يدل على فضيلة تربية الابن وتربية البنت على الخصوص على طاعة الله ، قال العلماء : إنما ذكر البنت لأنها هي المربية غداً لأبنائها وبناتها والقائمة على حقوق بعلها وبيت زوجها فلذلك ذكر رعاية البنات وإلا فالفضيلة موجودة

أيضاً لمن رعى الأبناء وقام عليهم وأدبهم فأحسن تأديبهم ، ومن هنا قال-عليه الصلاة

والسلام- يبين حسن العاقبة لمن أنعم الله عليه بهذه النعمة وهي تربية الولد تربية صالحة ذكر حسن العاقبة فقال : « إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقه جاريه وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » . قال العلماء : إن الله-ﷻ- يحسن المكافأة لعبده على ما كان منه من رعايته لولده فكما أحسن إلى ولده في الصغر يجعل الله له إحسانه نعمة عليه حتى بعد موته ، بل إن الذي يربي في الصغر ويحسن تربيه أولاده يرى بأم عينيه قبل أن يموت حسن العاقبة في ولده ، ولهذا تجد من ربى ابنه على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وعلى ما يرضي الله-ﷻ- ، إذا كبر فرق عظمه ووهن وأصابه المشيب والكبر وجد أبنه بجواره يساعده ويقوم على شأنه ويحفظ أمواله أميناً راعياً حافظاً على أتم الوجوه وأحسنها . وهذه هي ثمرة العمل الصالح وثمرة من ربى وتعب على تربية أبنائه ، والعكس فمن ضيع أبناءه فإن الله يريه في الحياة قبل الموت شؤم ما كان منه من التقصير فيصيبه الكبر فيهن عظمه ويرقد ويجد من تعب الحياة وشظفها فيأتي أبناءه ليكيدوا له ويؤذوه ويذلوه ويروه سوط العذاب في الدنيا قبل الآخرة وهذه كله من عواقب سوء التربية-نسأل الله السلامة والعافية- ، فلذلك رغب النبي-ﷺ- في هذا العمل الصالح وهو تربيه الأبناء ، رغب فيه لعلمه بحب الله لهذا العمل وحبه-سبحانه- لمن قام به على أتم الوجوه وأكملها وخير ما يربى علية الأبناء وأكد وأوجب ما يرعى من تربية الأبناء التربية الايمانية .

فأول ما يغرس الوالدان في قلب الولد الإيمان بالله-ﷻ- الذي من أجله خلق الله خلقه وأوجدهم . { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } فأول ما يعتني به غرس الإيمان وغرس العقيدة لا إله إلا الله تغرس في قلب الصبي فيعتقدها جنانه ويقر بها وينطق بها وينطق بها لسانه وتعمل بها وبلوازمها جوارحه وأركانه قال الله-تعالى- : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } فأول ما ابتدأ به وأول ما قام ودله عليه في وعظه ونصحه وتوجيهه أن ذكره بحق الله-جل جلاله- وبين له أن

ضياع هذا الحق هو الظلم العظيم ؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وليس هناك أعظم من أن يصرف حق الله-جل وعلا- في عبادته لغيره كائن من كان ذلك الغير ، ولهذا وعظ لقمان وابتدأ موعظته بهذا الأصل العظيم .

فأول ما ينبغي على الوالدين أن يغرسا في قلب الصبي الإيمان بالله-ﷻ- هو أطيب وأكمل وأعظم ما يكون من الأجر أن يغرس الأب وتغرس الأم في قلب الولد الأيمان بالله-ﷻ- وهو فاتحة الخير وأساس كل طاعة وبر لا ينظر الله إلى عمل العامل أو قوله حتى يحقق هذا الأصل ويرعاه على أتم الوجوه وأكملها ، ولذلك لما ركب عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- مع رسول الأمة-ﷺ- وهو صغير السن ركب وراء رسول الله-ﷺ- أختار-عليه الصلاة والسلام- أن يأخذ بمجامع قلبه وهو في صغره إلى توحيد الله-جل جلاله- : « - يا غلام - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن » وأنظر إلى الأسلوب : « - يا غلام - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ينفعك الله بها نفع الدين والدنيا والآخرة احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فأستعن بالله وأعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » . ملأ قلبه بالله ملأ قلبه بالأيمان والعبودية والتوحيد وإخلاص التوجه لله -تبارك وتعالى- . احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك فأخذ بكليته إلى الله واجعل الله نصب عينيك كأنه يقول اجعل الله نصب عينيك ، إذا سألت فكنت في فاقه وضيق وشده فسأل الله وإذا استعنت وألمت بك الأمور ونزلت بك الخطوب والشدائد فأستعن بالله ، ثم بعد ذلك ينفض يديه من الخلق وأعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، ولذلك ينبغي أن يحرص الوالدان على غرس الإيمان بالله .

يقول بعض أهل العلم-رحمة الله عليهم- إن الوالد مع ولده يستطيع في كل لحظه أن يغرس الإيمان فالمواقف التي تمر مع الوالد مع ولده ويكون الولد بجواره يذكره فيها بالله ويذكره فيها بوحدانية الله وأن الله قائم على كل نفس بما كسبت وأنه وحده بديع السموات والأرض خالق الكون ومدبر الوجود لا ملجأ ولا منجيا منه إلا إليه- سبحانه- ، فإذا نشأ هذا القلب على الفطرة ونشأ هذا القلب على التوحيد نشأ على الأصل العظيم الذي فيه سعادته وصلاح دينه ودنياه وآخرته فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فتأتي هذه الكلمات النيرات والمواعظ المباركة إلى قلب ذلك الصبي وهو على الفطرة وهو على الإيمان لا تشوبه شائبة كما قال-عليه ﷺ - : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه » فيغرس هذا الإيمان علي تلك الفطرة فتكون نوراً على نور يهدي الله لنوره من يشاء وعلى هذا ينبغي أن يحرص الوالدان على غرس الإيمان بالله-عز وجل- ، من التربية الإيمانية الأمر بالصلاة قال-تعالى- : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ } وقال-ﷺ - : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع » فمن حق الولد على والديه الأمر بالصلاة أن يأمراه بالصلاة في مواقيتها ، قال العلماء : يجب على الوالد وعلى الوالدة أن يعلما الولد كيفية الوضوء وكيفية الطهارة ، واستقبال القبلة ، وصفة الصلاة ، والهدي الذي ينبغي أن تؤدي به هذه العبادة .

والله ما علمت ابنك الوضوء فصب الماء على جسده إلا كان لك مثل أجره ولا حفظته الفاتحة أو شيء من كتاب الله فلفظ لسانه بحرف مما علمته إلا كنت شريكا له في الأجر حتى يتوفاه الله-عز وجل- ولو علم ذريته فأنت شريك له في الأجر فمن دعا إلى الهدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئاً ، وما علمته الصلاة فقام في ظلمة ليل أو ضياء نهار بين يدي الله إلا أجرت على قيامه وكان لك مثل أجره وثوابه ، فخير كثير وفضل عظيم يتاجر فيه الوالد مع الله-عز وجل- وما قيمة

الأولاد إذا لم يقاموا على طاعة الله-ﷻ- ويقاموا على منهج الله وتنشأ تلك النفوس على محبة الله ومرضاة الله والقيام بحقوق الله فلا خير في الولد إذا تنكر لحق الله وإذا ضيع الولد حق الله فسيضيع حقوق من سواه ممن باب أولى وأحرى ، فينشأه على إقامة الصلاة ويعوده إنه إذا أذن المؤذن ينطلق إلى بيت الله-ﷻ- عامرة بذكره ، ولذلك أمر النبي-ﷺ- للصلاة لسبع عند نعومة الصبي وصغر سنه حتى إذا كبر ألف ذلك الشيء واعتاده ، كذلك - أيضاً - هذه التربية الإيمانية تستلزم التربية على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وما يكون من الإنسان في معاملته مع الناس : { يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } . يقول بعض العلماء : هذه الآيات وصايا لقمان منهج في التربية على أكمل شيء ، فهو يجمع بين حق الله وحق عباده ، بل حتى حظ النفس فقد أمره بما فيه قوام النفس واستقامتها حتى في أخلاقها مع الناس ، ولذلك لا تصعر خدك للناس كبرياء وخيلاء ولا تمشي في الأرض مرحاً فالإنسان إذا أراد أن يربي ولده يربيه على مكارم الأخلاق فكمال العبد في كمال خلقه كما قال-ﷺ- : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » يعوده الصدق في الحديث وينهاه عن الكذب يعوده حفظ اللسان وينهاه عن أن يرتع لسانه بأعراض المسلمين بالغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن ، ولذلك نهى النبي-ﷺ - المؤمن أن يعد فلوه صغيره ثم لا يفي له ، نهاه لأن الابن إذا رأى من والديه التقصير بالكذب في الوعد نشأ كاذباً-والعياذ بالله- فالولد يتأثر بوالديه فإن رأي منهما خيراً سار على ذلك الخير وأحبه وإن رأى منها الشر سار على ذلك الشر وأحبه والتزمه حتى يصعب أن ينفك عنه عند الكبر-نسأل الله السلامة والعافية- فلذلك ينبغي أن يعود على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كما ذكر العلماء في قوله وعمله وقلبه يقولون

في قلبه يغرس الوالد في قلب الابن حب المسلمين فلا يغرس في قلبه الحقد عليهم ولا يغرس في قلبه الحسد ولا يغرس في قلبه البغضاء وإنما يغرس في قلبه حب المؤمنين صغاراً وكباراً ، حب المسلمين خاصة صالحيهم وعلمائهم ودعاقم ينشئه على حبهم ولو أخذه معه إلى مجالس الذكر حتى ينشأ على حب العلماء والاتصال بهم والارتياح لهم كل ذلك من الأمور المطلوبة من الوالد حتى يقيم قلب الصبي على طاعة الله .

كذلك ينشأه في لسانه على ما ذكرناه في صدق القول وحفظه عن أعراض المسلمين فإذا جاء يتكلم الابن يعرف أين يضع لسانه وإذا جاء يتحدث يعرف ما الذي يقول وما الذي يتكلم به وهذا يستلزم جانبين ذكرهما العلماء :

الجانب الأول : الأدب الإسلامي ، مِن توقي المحرمات في الألسن وتعويده على أصلح ما يكون في طاعة الله من ذكر الله-ﷻ- كالتسبيح والاستغفار ونحو ذلك من الأذكار ويحبب إلى قلبه تلاوة القرآن هذا بالنسبة للجانب الديني .

الجانب الثاني : الجانب الدنيوي يعوده على الحياء والخجل فلا يكون صفيق الوجه سليط اللسان ويقولون جريء والدك على الكلام هذا لا ينبغي إنما ينبغي أن يعود الحياء أولاً ثم إذا كان جريئاً يكون جرئته منضبطه بالحياء كان-ﷺ- أشد الناس حياء من العذراء في خدرها ويقولون الولد ما يصبح رجل إلا إذا كان جريئاً فتجده يترك الولد يتكلم أمام من هو أكبر منه سناً وتجد الولد يتكلم حتى بقبائح الأمور فيتبسم الوالد ويقول هكذا الابن وإلا فلا ، لا والله لا ينشأ الابن على السوء فيكون كاملاً مهما كان ولو كانت الناس تظن أن هذا كمال فإنه نقص ، ولذلك لما جاء حويصه يتكلم قال له النبي-ﷺ- : ((كبر كبر)) فعلمه الأدب وهو كبير فقال له كبر كبر فإذا جلس بين الكبار لا يتكلم ؛ وإنما يكف لسانه ويجلس حيياً مستحياً بالحياء الذي يتجمل به أمام عباد الله-ﷻ- أما أن يعود الجرأة على الكلام والجرأة على الحديث فهذا مما لا تحمد عقباه ، فإذا تعود الجرأة من صغره ألفها في كبره ؛ لكن يعود الحياء يعود

السكوت والإنصات لكبار السن ولا يتكلم بحضرتهم إلا بقدر فإذا كبر وعقل الأمور تكلم عند موجب الكلام وصدر عن انضباط وحفظ لسانه ؛ لأنه أعتاد ذلك وألفه وربى عليه . هذه بالنسبة للأمور الدنيوية أنه يعود على أجمل ما يكون عليه من الكلام الطيب والعبارات الطيبة ، فإذا خاطب من هو أكبر منه أمر بأن يخاطبه بالإجلال والإكبار والتقدير فلا يرضى الوالد لولده أن يخاطب كبير السن أمامه باسمه ؛ وإنما يقول له خاطبه بياعم أو نحو ذلك من الكلمات التي فيها إجلال وتوقير حتى ينشأ الصغير علي توقير الكبير وتلك سنة الإسلام قال-ﷺ- : ((ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولا يرحم صغيرنا)) فلابد من تعويد الابن على توقير الكبير واحترامه وتقديره وإجلاله .
وإذا وفق الله-ﷻ- الوالدين لحب التربية تربية الولد التربية الصالحة فليعلما أن ذلك لا يكون إلا بأمور مهمة إذا أراد الوالد والوالدة أن يقوما على تربية الولد فهناك أسباب تعين على التربية الصالحة :
أولهما وأعظمها وأجلها : الدعاء فيكثر الوالدين من الدعاء للولد يسأل الله-ﷻ- أن يكون الولد صالحاً كما قال الله-تعالى- : { وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ } تكثر من الدعاء لولدك فلعلك أن توافق باباً في السماء مفتوحاً فيستجاب لك ، الله أعلم كم من أم وكم من أب دعا لولده دعوة اسعدته في الدنيا والآخرة ، أم سليم- رضي الله تعالى عنها- جاءت بأنس إلى رسول الله-ﷺ- وقالت :- يا رسول الله - خويدمك أنس أدعو الله له فدعا له النبي-ﷺ- بخير الدنيا والآخرة فتسببت له في ذلك الخير-رضي الله عنها وأرضاها- .
فيحرص الوالد على كثرة الدعاء أن الله يصلح ذريته والله-تعالى- يقول : { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } ولا يسأم ولا يمل ولا ييأس من رحمة الله ولا يقنط من روح الله وإنما عليه أن يحسن الظن بالله-ﷻ- .

كذلك أيضاً الأمر الثاني : وهو من الأهمية بمكان مما يعين على التربية الصالحة القدوة الحسنة الأولاد الأبناء البنات لا ينتظرون الكلام بمثل العمل والتطبيق فإذا نشأ الابن وهو يرى أباه على أكمل ما يكون عليه الأب ويرى أمه على أكمل ما تكون عليه الأم تأثر وأصبح متصلاً بهذه الأخلاق الحميدة والآداب الكريمة حتى تصبح سجية له وفطرة لا يتكلفها ولا يستطيع أن يتركها ، كذلك البنت إذا نشأت وقد رأت من أبيها الصلاح والاستقامة على الخير ورأت من أمها الصلاح والاستقامة على الخير أحبت الخير وألفته كيف يكون الابن صادقاً وهو ينشأ في بيت يسمع فيه أباه -والعياذ بالله- يكذب فلربما طرق عليه الضيف فيقول : أذهب وقل له ليس بموجود ، كيف ينشأ الابن صادقاً في قوله إذا كان والده يعلمه من خلال سلوكه وتصرفاته سيئ العادات -والعياذ بالله- وكيف تكون البنت على صلاح واستقامة وهي ترى من أمها التقصير في الصلوات والطاعات نائمة عن فرض الله -ﷻ- أو مضيعة لحق الله في قولها وفعلها فأهم ما ينبغي في التربية الصالحة القدوة وإذا كان الإنسان قدوة للغير تأثر الغير بكلامه وجعل الله لمواعظه وكلماته وتوجيهاته أثراً في النفوس وانتفع الناس وأنتفع أولاده بما يقول - نسأل العظيم أن يرزقنا القول والعمل - .

كذلك أيضاً من الأمور المهمة : وهي من حقوق الأولاد التي ينبغي رعايتها ونختم بها هذا المجلس حق العدل بين الأولاد ، وهذا الحق أشار إليه النبي -ﷺ- في الحديث الصحيح : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » فلا يجوز تفضيل الإناث على الذكور كما لا يجوز تفضيل الذكور على الإناث كان أهل الجاهلية يفضلون الذكر على الأنثى وكانوا يقتلون الأنثى كما أخبر الله -ﷻ- في كتابه وقال : { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ } . فإذا بشر بالإناث تمعر وجهه وتغير وكأنه يبشر بسوء -نسأل الله السلامة والعافية- فلذلك أدب الله -ﷻ- المسلمين على الرضا بقسمة الله -ﷻ- ، يرضى الإنسان بالولد ذكراً كان أو أنثى ولا يفضل الإناث عن الذكور

ولا الذكور على الإناث ؛ وإنما يعدل بين الجميع ، كان السلف-رحمهم الله- يعدلون بين الأولاد حتى في القبلة فلو قبل هذا رجع وقبل هذا حتى لا ينشأ الأولاد وبينهم الحقد ، ولذلك قالوا إن التفضيل يتسبب في مفاسد أولها يكون ضرره على الوالد نفسه فإنه ينشأ الأولاد على حقده وكراهيته وقد أشار النبي-ﷺ- إلى هذا المعنى بقوله في الحديث الصحيح للنعمان : « أتحب أن يكونوا لك في البر سواء ؟ » قال : نعم . أي إذا كنت تريدهم في البر سواء فأعدل بينهم وكن منصفاً فيما تسدي إليهم . كذلك أيضاً من المفاسد التي تترتب على عدم العدل أنها توغر صدور بعضهم على بعض ، ولذلك حصل ما حصل بين يوسف وإخوته لأنهم : { قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا } ، لذلك لا ينبغي أن يكون الوالد أو الوالدة فى التصرفات والأعمال على تفضيل ولد على ولد وإنما يكون كل منهم على تقوى الله-ﷻ- فيحسنوا إلى الجميع سواء كان ذلك التفضيل من الجانب المعنوي أو الجانب الحسي المادي ، فإذا أعطى الإبن شيئاً يعطي الأنثى كذلك .

واختلف العلماء في كيفية العدل بين الذكر والأنثى ولهم قولان مشهوران :

القول الأول :

قال بعض العلماء : المال الذي يعطيه للذكر يعطي مثله قدراً للأنثى سواء بسواء فإن أعطى هذا ديناراً يعطي هذه ديناراً .

القول الثاني :

وقال جمع العلماء : إن العدل بين الأولاد أن يعطي الذكر مثل حظ الأنثيين وهذا هو الصحيح ؛ لأنه قسمة الله-ﷻ- من فوق سبع سموات وقال تعالى- : { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى } فإن الولد تنتابه من المصارف ويحتك بالناس وتكون مصارفه أكثر من الأنثى ، ولذلك قالوا : يجعل للذكر مثل حظ الإنثيين وهذا هو مذهب طائفة من أهل العلم وهو الصحيح ؛ لأنه قسمة الله-ﷻ- ولا أعدل من الله بين خلقه ، الله-ﷻ- عدل

بين عباده ففضل الذكر على الأنثى من هذا الوجه وليس في ذلك غضاضه على الأنثى ولا منقصه .

كذلك أيضاً قد تكون هناك موجبات خاصه أستثناها بعض العلماء من العدل فقالوا : إذا كان أحد الأولاد يتعلم أو يقوم على أمر من الأمور المختصة به يحتاجها لصلاح دينه أو دنياه فلا بأس أن يخص بالعطية إذا كان عنده عمل ومحتاج إليه قالوا ؛ لأنه من العدل أنه لما تفرغ للعلم أن يعان على تعلمه ، ولذلك يعطى حقه لما تفرغ لهذا العلم الذي فيه نفعه ونفع العباد ، وهكذا إذا تفرغ لكي يتعلم حداده أو صناعة أو نحو ذلك فإن والده إذا أراد أن يعطيه من أجل هذا التعلم ينفق عليه على قدر حاجته ولا يلزم بإعطاء الأنثى مثل ما يعطيه أو نصف ما يعطيه ؛ لأن الأنثى لا تعمل كعمله فلو أعطى الأنثى مثل ما يعطيه فإنه في هذه الحالة قد ظلم الذكر ؛ لأن الأنثى أخذت من دون وجه ومن دون استحقاق ، وعلى هذا فإن من حق الأولاد على الوالدين العدل سواء كان ذلك في الجانب المعنوي أو الجانب المادي وكان بعض العلماء يقول : ينبغي على الوالد أن يرى أحاسيسه ومشاعره ، وكذلك على الوالدة يرعى كل منهما الأحاسيس والمشاعر خاصة بحضور الأولاد فلا يحاول الوالد أن يميل إلى ولدٍ أكثر من الآخر أثناء الحديث أو يمازحه أو يباسطه أكثر من الأخر ؛ وإنما يراعي العدل في جميع ما يكون منه من التصرفات لمكان الغيرة .



التوحيد الخالص

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

"والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله" قتلها "إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك" أي واحدا من الثلاثة "يلق أثاما" أي عقوبة

الشرك بالله وأضراره

فإن أمر الشرك عظيم، وهو أظلم الظلم، ولا يمكن للإنسان أن يحذر منه ومن الوقوع فيه إلا إذا عرفه وعرف خطره، ولذا يجب على كل مسلم معرفته ليسلم منه وليكون على بينة من أمره حتى لا يقع فيه، لأنه إذا لم يعرفه، ربما يقع فيه وهو لا يدري، ولذلك كان حذيفة ﷺ يسأل النبي ﷺ عن الشر مخافة أن يقع فيه، كما جاء في الصحيحين عنه رضي الله عنه أنه قال: "كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني".

وبسبب الجهل بالشرك وأنواعه نرى كثيرًا من المسلمين اليوم قد وقع فيه، فلا تكاد تجد بلدًا من بلاد المسلمين إلا وترى فيها تقديس القبور، والنذر لها، والذبح عندها، والاستغاثة بأهلها، وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه الكريم أنه لا يغفر الشرك أبدا لمن لم يتب منه، وذلك لأنه جناية على حق الله الخالص، وهو التوحيد، أما ما دون الشرك من الذنوب، فهو داخل تحت مشيئة الله –عز وجل– إن شاء غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذبه.

قال تعالى: "إن الله لا يغفر أن يُشرك به. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء/٤٨)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق وخفي وجلي"، وقال أيضًا: "وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شئ لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن، وإن كان صاحب الشرك –أي الأصغر– يموت مسلمًا، لكن شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة"، وقال ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان": "فأما نجاسة الشرك، فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة، فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والمخففة: الشرك الأصغر كيسير الرياء".

وقوله كيسير الرياء يعني أن كثير الرياء قد يُوصِل إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

وبهذا يتبين أن الشرك ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر

القسم الأول: الشرك الأكبر:

وهو أن يجعل الإنسان لله ندًّا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته وهو كما قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في "القول السديد": "أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعوا الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع

العبادة، ولا فرق في هذا بين أن يسمي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء فكل ذلك شرك أكبر، لأن العبرة بحقاق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها".

القسم الثاني: الشرك الأصغر:

وهو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا وهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك.

وقال ابن القيم رحمه الله: "مَثَل المشرك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سَيِّده. فالمشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدوِّ الله بنِعَم الله تعالى".

وقال ابن حجر رحمه الله: "المشرك أصلاً من وضع الشئ في غير موضعه، لأنه جعل لمن أخرجه من العدم إلى الوجود مساويًا فنسب النعمة إلى غير المُنعم بها"، وقال أيضًا: "الشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي"، وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى: "إن العامِّي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين. كما قال تعالى: "وإن جندنا لهم الغالبون" (الصافات/١٧٣) فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنان".

والله جل وعلا حرَّم الجنة على المشرك وجعله خالدًا مخلَّدا في نار جهنم، قال تبارك وتعالى "إنه من يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار. وما للظالمين من أنصار"(المائدة/٧٢).

والآيات في ذم الشرك كثيرة والأحاديث كثيرة:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" (متفق عليه).

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "أتاني آتٍ من ربي فأخبرني –أو قال بشرني– أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق" (متفق عليه).

وهذا الحديث يبين أنه لا بد للموحدين من دخول الجنة، وذلك إما أن يكون دخولاً كاملاً غير مسبوق بعذاب، وإما أن يكون مسبوقًا بعذاب لمن لم يتم العمل. فقد ذكر ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث في فتح الباري أن الزين بن المنير قال: "حديث أبي ذر من أحاديث الرجاء التي أفضى الاتكال عليها ببعض الجهلة إلى الإقدام على الموبقات، وليس هو على ظاهره فإن القواعد استقرت على أن حقوق الآدميين لا تسقط بمجرد الموت، ولكن لا يلزم من عدم سقوطها أن لا يتكفل الله بها عمن يريد أن يدخله الجنة، ومن ثم ردَّ ﷺ على أبي ذر استبعاده ويحتمل أن يكون المراد بقوله (دخل الجنة) أي صار إليها إما ابتداء من أول الحال وإما بعد أن يقع ما يقع من العذاب".

وهذا لا يدل على أن ما عدا الشرك كله صغائر، بل يدل على أن من لم يشرك بالله شيئًا فذنوبه مغفورة كائنة ما كانت، ولكن ينبغي أن يعلم العبد ارتباط إيمان القلوب بأعمال الجوارح وتعلقها بها وإلا لم يفهم مراد الرسول ﷺ بل وقع في الخلط والتخبيط.

يقول ابن القيم رحمه الله: "أن النفي العام للشرك وهو أن لا يشرك بالله شيئًا لا يصدر من مصر على معصية أبدًا، ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفوا له التوحيد، بل قلبه يكون كالحجر وذلك لأن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله، ورجائه لغير الله، وحبه لغير الله، وذله لغير الله، وتوكله على غير الله".

وعن جابر ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار" (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "قال الله –تبارك وتعالى– أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (رواه مسلم).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شئ كنت تفتدي به؟ قال: نعم. قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك"(متفق عليه).

والنبي ﷺ قاتل المشركين واستباح دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"(متفق عليه).

من مضار الشرك:

.كثيرة كانت وإن الأعمال حبوط

.النار في الأبدي الخلود

.بالسَّبْي وعرضه وماله دمه استباحة

.اللازم والحزن الدائم والخوف والكمد والنكد والاضطراب القلق

.الأقدار مصائب من يلقاه ما على الله من ومددًا عونًا يجد لا

.المعاصي جميع من أعظم

.جنبيه بين التي ولنفسه وللبشرية لله عدو

.فضيلة كل عن ويبعد رذيلة كل إلى يدعوا

ولما كان هذا حال الشرك، وهذا شأنه عند الله تعالى، فإنه يجب على العبد أن يخافه ويحذره، لأنه تنقُّصٌ لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، كما قال تعالى: "ثم الذين كفروا بربِّهم يعدلون" (الأنعام/١).

ولا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، فهذا إبراهيم عليه السلام وهو خليل الرحمن وإمام الحنفاء يخاف الشرك على نفسه ويقول: "واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام" (إبراهيم/٣٥).

فما بالك بمن دونه من البشر.

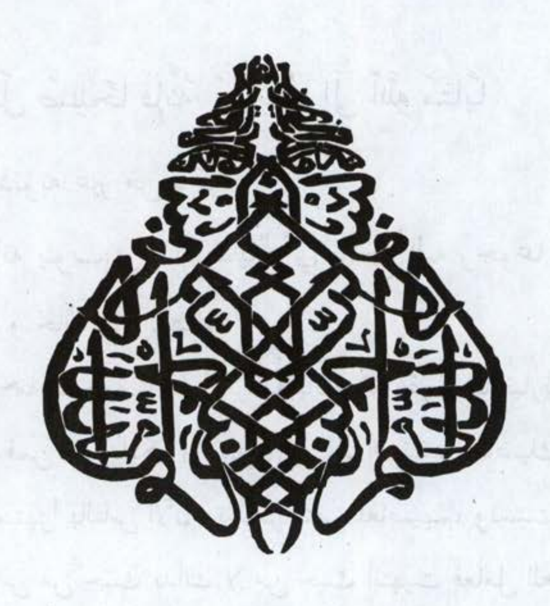
فلا تأمن الشرك، ولا تأمن النفاق، إذ لا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن، ولهذا قال ابن أبي مُلَيْكَة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه" (رواه البخاري).

وأخيرا نختم بهذه الأبيات لابن القيم رحمه الله:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسـم ليس بقابل الغفران

وهو اتخـاذ النـد للرحـمن أيًا كان من حجر ومن إنسان

يدعـوه أو يرجـوه ثم يخافه ويحبـه كمحبـة الديَّـان



التوبة

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

"إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا" منهم

"فأولئك يبدل الله سيئاتهم" المذكورة

"حسنات" في الآخرة

"وكان الله غفورا رحيما" أي لم يزل متصفا بذلك

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا

"ومن تاب" من ذنوبه غير من ذكر

"وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا" أي يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا

ويقول الأستاذ عمرو خالد عن العصاه

واليك هذه الرحمة العجيبة.. وهي الرحمة بالعصاة: يقول الله تبارك وتعالى:{ كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم} النساء ٩٤. اياك أن تنسى ماضيك.. هل نسيت ماذا كنت من قبل؟ ستهزأ بالناس الآن وتسخر منهم لمعاصيهم، ونسيت نفسك، فنصيحتي لك أن تبدأ مع الناس من حيث بدأت لا من حيث انتهيت فعامل العصاة.. برفق..وكن رحيما بهم، واياك أن تدعو عليهم، بل ادعوا لهم بالهداية كما هداك الله.

وتعــلم من رحمة مؤمن يس. الذي دعا قومه كثيرا ولكنهم قتلوه {قيل ادخل الجنة} يس ٢٦، فكانــت أول كــلمة يقولها: { قال ياليت قومي يعلمون} يس ٢٦، سبحان الله أي رحمة هذه..

تعلم منه واعلم أن الناس بداخلها الخير رغم معصيتهم ويبعدهم عن الله، واجعل شعارك {ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة} النحل ١٢٥.

وايــاك أن تقــول: لا أمــل فيهم.. وتذكر أن الصحابة كانوا يقولون: لو آمن حمار الخطاب ما آمن عمر!!.

شؤم المعاصي

: لقد طغت النظرة المادية على كثير من أبناء هذا العصر ، فضعف عندهم الربط بين الأسباب و مسبباتها ، و لم يدركوا العلاقة بين الأعمال وآثارها . نشأ في أوطان المسلمين فريق تلبسوا بالشهوات فذهبوا في البطالة مكاناً بعيداً ، وغلبت على فريق آخر شبهات من الشرق و الغرب فضلوا عن إدراك سنن الله و ظنوا الشبهة حجة ، و حسبوا أعداء الله لا يقولون إلا صواباً و لا يعملون إلا حسناً ، أو أنهم يحسنون صنعاً .

يقال هذا أيها المسلمون و عالم اليوم تسوده أعاصير مدمرة وفيضانات مغرقة ، و زلازل مهلكة ، يضم إليها حروب محرقة لا تخمد نارها . . كلما أطفئت من جانب أوقدت في جانب . مع أمراض فتاكة لم تكن في الأسلاف ،في الأنفس و الزروع و البهائم . حوادث مروعة ، و انقسامات مفزعة .

إن سنن الله عز وجل تأبى أن تترك المجرمين من غير قصاص ، فماذا ينتظر المقصرون ؟! ليس من شرور و لا بلاء إلا وسببه الذنوب و المعاصي .

بالمعصية بدل إبليس بالإيمان كفراً ، و بالقرب بعداً ، وبالرحمة لعنةً ، و بالجنة ناراً تلظى .

عم قوم نوح الغرق ، وأهلكت عاداً الريح العقيم ، وأخذت ثمود الصيحة ، و قلبت على اللوطية ديارهم ، فجعل الله عاليها سافلها ، و أمطر عليها حجارة من سجيل ، فساء مطر المنذرين " فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " .

إنها الحقيقة الصارخة " فكلاً أخذنا بذنبه " . تلكم الذنوب ، وتلكم عواقبها ، وما هي عن الظالمين ببعيد .

ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها ، و لا تمكنت من قلوب إلا أعمتها ، و لا فشت في أمة إلا أذلتها ، فلا تفارقها حتى تدع الديار بلاقع .

أيها المسلمون : إن للمعاصي شؤمها ، و لها عواقبها في النفس والأهل . . في البر و البحر . . تضل به الأهواء ، و تفسد بها الأجواء .

بالمعاصي يهون العبد على ربه فيرفع مهابته من قلوب خلقه : " و من يهن الله فما له من مكرم " .

يقول الحسن رحمه الله : هانوا عليه فعصوه ، و لو عزوا عليه لعصمهم .

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : لما فتحت قبرص رأيت أبا الدراداء جالساً وحده يبكي . فقلت : يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام و أهله ؟ فقال : ويحك يا جبير ؟ ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره . . بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى بسبب الذنوب و الآثام يكون الهم و الحزن و العقد النفسية ، إنها مصدر العجز و الكسل ، و فشو البطالة ، ومن ثم يكون الجبن ، و البخل ، و غلبة الدين ، و قهر الرجال . .

بها تزول النعم و تحل النقم ، و تتحول العافية ، ويستجلب سخط الله . إذا ابتلي العبد

بالمعاصي استوحش قلبه ، و ضعفت بأهل الخير و الصلاح صلته ، و جفاه الصالحون من أهله و أقاربه ، حتى قال بعض السلف : إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق امرأتي ودابتي .

و من قارف المعاصي و لازمها تولد في قلبه الاستئناس بها و قبولها ، و لا يزال كذلك حتى يذهب عنه استقباحها ، ثم يبدأ بالمجاهرة بها وإعلانها . وغالب هؤلاء لا يعافون منها كما في الحديث : " كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، و إن من المجاهرة أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه ، فيقول : يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا ، و قد بات يستره ربه فيصبح يكشف ستر الله عليه " . و من المجاهرة أن يتحدث التاجر إلى رفاقه بغشه في السلع و يعد ذلك مهارة و كياسةً ، و من المجاهرة أن يذكر الماجن مجونه ، و ينشر الفاسق فسوقه .

و من المجاهرة تلك الصور الفاضحة و الكلمات الخادشة للشرف و الفضيلة ، و هذا باب من البلاء عريض و لكثير من وسائل الإعلام منه نصيب كبير .

و من عظم البلايا ألا يحس المعاقب بالعقوبة ، و أشد منه أن يقع السرور بما هو بلاء و عقوبة ، فيفرح بالمال الحرام ، و يبتهج بالتمكن من الذنب ، و يسر بالاستكثار من المعصية ، و من هذا حاله متى يفوز بالطاعة ؟ ! و إذا اشتدت ملابسة الذنب للقلوب أفقدها الغيرة على الأهل و المحارم ، فلا تستقبح قبيحاً و لا تنكر منكراً . و كفى بالديوث الذي يقر الخبث في أهله مثلاً فهو من أخبث خلق الله . الجنة عليه حرام بنص حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم .

إن الذنب بعد الذنب يقطع طرق الطاعة ، و يصد عن سبل الخيرات ، ومن ثم يقسو القلب ، و تستحجر النفش فيبتعد عن التوبة النصوح . دليلك في هذا أن كثيراً من أرباب المعاصي تتحرك بالتوبة ألسنتهم وتنطق بالاستغفار أفواههم ، أنا قلوبهم فمنكرة ، و على الموبقات مصرة و هذا من أعظم الأمراض .

أيها المؤمنون : لقد فشا في كثير من المجتمعات الربا و الزنا ، و شربت الخمور و المسكرات ، و أدمنت المخدرات . . كثر أكل الحرام ، و تنوعت فيه الحيل ، شهادات باطلة ، و أيمان فاجرة ، و خصومات ظالمة ، ارتفعت أصوات المعازف و المزامير ، و فشت رذائل الأخلاق و مستقبح العادات في البنين و البنات . فإلى متي الغفلة عن سنن الله ؟ و نعوذ بالله من الأمن مكر الله . " ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" .

إن الأمة حين تغفل عن سنن الله فتغرق في شهواتها و تضل طريقها فما هو إلا أن تقع في مصارع السوء إنها سنة الله حين تش المنكرات ، و تقوم الحياة على الذنوب و الآثام . إن الانحلال الخلقي ، و فشو الدعارة ، و سلوك مسالك اللهو و الترف ، طريق إلى عواقب السوء ، إذ تترهل النفوس ، وترتع فقال الفسق و المجانة ، و تستهتر بالقيم ، و تهين الكرامات ، و تلغ في الأعراض و الحرمات ، فتنتشر الفواحش ، و ترخص القيم العالية ، فتتحلل الأملة و تسترخي ، و تفقد قوتها و عناصر بقائها ، فتهلك و تطوي صفحتها ، و لا يهلك على الله إلا هالك .

فاتقوا الله رحمكم الله ، فالحق أبلج ، فاعرفوا سنن الله ، و احذورا الأمن من مكر الله . اللهم أقل العثرة ، و اغفر الزلة ، وجد بحلمك على من لم يرج غيرك . اللهم تولنا برحمتك ، و جنبناً الفواحش ما ظهر منها و ما بطن عن بلدنا هذا خاصة و عن سائر بلاد المسلمين . يا رب العالمين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

" وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون * ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما

كانوا يكسبون * أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون " .

أخطار المعاصي

اتقوا الله تعالى حق تقواه بأن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروه فلا تنسوه، وتشكروه فلا تكفروه، فإنكم بذلك تحفظون نعمة الله عليكم، وتضمنون استقرارها لديكم، وتأخذون بأسباب وصول مزيد فضله وإحسانه إليكم، وتدفعون المصائب عنكم وحلول النقم فيكم " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ".

أيها المسلمون: احذروا المعاصي فإنها بريد الكفر، وموجبة لسلب النعم، وداعية للنقم، وتنقص العمر، وتنزع البركة من الرزق، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وهي تظلم القلب وتقسيه، وتحول بينه وبين نور العلم وسبيل الهدى، وإن المعصية لتجر صاحبها إلى معصية أخرى. قال بعض السلف: (إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها).

فالمعصية تحبب العاصي إلى جنسها، وتثقل عليه الطاعة بعدها، حتى يألف الرجل المعاصي، ويصبح من المصرين عليها، حتى أنها ليفعل المعصية مع علمه بحكمها وعظيم خطرها، وربما لا يجد اللذة لها، ولكن بحسب الإلف والعادة. واعتبروا ذلك بحال من شأنهم التخلف عن الصلاة، أو الإدمان على المسكرات والمخدرات، وأكلة الربا، والذين يحلقون اللحى، والمتبرجات، والمترجلات من النساء، حيث يزين لأحدهم بسبب إصراره على المعصية سوء عمله، وينسى عاقبة أمره بعد حلول أجله: " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ".

فيكون ذلك من أسباب سوء الخاتمة عند حلول القاصمة، حين يكشف عنه الغطاء، ويظهر ما خفي بسببه غلبة الهوى، وإيثار الحياة الدنيا، فتجدون العصاة يتحسرون عند

الموت، يقول العاصي: " يا ليتني قدمت لحياتي "، " رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ". " رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت ".

ومن أخطر أضرار المعاصي أيها المسلمون أنها تنزع الحياء من نفس العاصي حتى يجاهر بها، ويعلنها أمام الداني والقاصي. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان! عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه " متفق عليه.

وإن من الناس من يفتخر بمعصيته، ويرى أنها ضرورة لحاله، فلا يزال يرتكب الذنب بعد الذنب حتى تهون عليه المعصية، وتصغر في قلبه الخطيئة، وذلك من علامات موت القلب وفساد الفطرة، فإن الذنب كلما صغر في عين العاصي عظم عند الله عز وجل. واحتقار المعصية علامة من علامات النفاق، وبرهان من براهينه بالاتفاق، ففي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " إن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا ".

واحتقار الذنب واستصغاره والتهوين من شأنه من أسباب الإصرار على المعصية الذي جعله الله من أسباب منع المغفرة، وطمس القلب واتصافه بالغفلة، قال تعالى: " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن "، وقال سبحانه: " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ".

أيها المؤمنون: إن خطورة الاستمرار على المعاصي تظهر ثمرتها عند فراق الدنيا والإقبال على الآخرة، حيث يحال بين المرء وقلبه في أحوج لحظة، وعند أعظم مصيبة، حيث تعرض له معاصيه التي كان مصراً عليها، فيزينها له الشيطان فيهذي بها، حتى تحول بينه وبين النطق بشهادة الحق.

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن رجلاً حضره الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله،

فجعل يهذي بالغناء، ويحكي صوت آلته، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فقال: هو كافر بما يقول ثم مات. وقيل لثالث: قل: لا إله إلا الله، فقال: كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها. وقيل لأحد التجار عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال: هذه القطعة رخيصة، هذا المشتري جيد. وكان رجل يطفف في الوزن فقيل له عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال إنه لا يستطيع أن يقولها لأن كفة الميزان ثقيلة على لسانه وهكذا خطر المعاصي على أهلها قد يدركهم - إن لم يتوبوا - في الدنيا أو في الآخرة، فتوبوا إلى الله عباد الله من كل معصية، واعتذروا إليه من كل خطيئة، فإن التوبة النصوح يمحو الله بها السيئة، ويستر بها من الفضيحة، ويصرف الله بها العقوبة، ويكمل بها الإيمان، ويعصم بها من النيران، ويورث بها الجنان " يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ".



معاصي اللسان

وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا

"والذين لا يشهدون الزور" أي الكذب والباطل

"وإذا مروا باللغو" من الكلام القبيح وغيره

"مروا كراما" معرضين عنه

يقول الأستاذ عمرو خالد

وقبل أن ندخل في هذا النوع أذكرك بدعاء النبي ﷺ الذي قول فيه:" اللهم اني أسألك لسانا صادقا". رواه الترمذي ٣٤٠٧ والامام أحمد ٤\١٢٣.

ما هذا..؟ النبي ﷺ يدعو ويقول ذلك؟ فكم مرة تدعو بها أنت بها ايها المسكين في اليوم.. اخشى الرد..

وصية: ادعو بهذا الدعاء بعد ختام كل صلاة.

صدق اللسان في القرآن

ان لصدق اللسان أنواعا عديدة، ومنها صدق اللسان في القرآن.

يقول النبي ﷺ :" من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار". رواه الترمذي ٢٩٥٠، ٢٩٥١ والامام أحمد ١\٢٣٣.

اياك أن تفتي بغير علم أو تفسر القرآن وأنت تجهل ما تقول، أو تقول في القرآن بغير ما تحتمله أساليب اللغة العربية.

اياك أن تكون من الذين يقولون على آية الحجاب ان المقصود بها زوجات النبي فقط وليس جميع النساء.. اياك والكذب في القرآن بغير علم.

أتكذب على النبيّ؟

ومن أنواع صدق اللسان أن تصدق في نقلك للحديث الشريف فيقول النبي ﷺ :" من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري في الحديث ١٠٦ ومسلم ٢ وابن ماجه ٣٠ والامام أحمد ١\٧٨.

ولذلك ان لم تكن متأكدا فقل: أو كما قال أو قل: إن صحّت هذه الرواية، لأن النبي ﷺيقول:" من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين". رواه ابن ماجه ٤٠ والإمام أحمد٤\٢٥٠.

فيا من كذب على النبي ﷺ تبوأ مقعدك في النار..

وان أردت النجاة فتب إلي الله واستغفره ولا تكذب على النبي أبدا!.

يا الله!! مع النبيين والصديقين والشهداء!!

ومن أنواع صدق اللسان أيضا: الصدق في التجارة يقول النبي ﷺ :" التاجر الصّدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء". رواه ابن ماجه ٢١٣٩. (أظن هذا الحديث قد أسعدك أيها التاجر.. أرجو كل من يعرف تاجرا أو قريبا له، أو جاره أن يبلغه هذا الحديث).

ويقول ﷺ :" يا معشر التجار" فرفعوا رؤوسهم، فقال:" إن التجار يبعثون يوم القيامة فجّارا الا من اتقى وبرّ وصدق" رواه الترمذي ١٢١٠، وابن ماجه ٢١٤٦.

يا لحزنك أيها التاجر بـــ (إن) ويا لساعدتك بـــ (إلا).

فإذا أردت إن يمحى حزنك وأن تكتمل سعادتك فكن تقيا وبارا وصادقا..

ويقول صلى الله عليه وسلم:" البيّعان بالخيار إن لم يتفرّقا، فان صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وان كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا وتمحق بركة بيعهما". رواه البخاري ٢٠٧٩ ومسلم ٣٨٣٦ ، ٣٨٣٧ وأبوداود ٣٤٥٩.

إياكم وكتم العيوب في السلع فإنها والله تمحق البركة.

وصية: حاول بكل رقة وبكل أدب وبكل ذوق أو توصي هذه المعاني الثلاثة لكل تاجر، وإياك أن تكون سببا لأن تأتي بنتائج عكسية...

أكبر الكبائر..؟! ليته سكت

ومن أنواع صدق اللسان أيضا: الصدق في الشهادة. يقول النبي ﷺ :" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر". قالوا: بلى يا رسول الله قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين وقتل النفس"، وكا متكئا فجلس، وقال:" ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور" رواه البخاري ٥٦٣٢ و ٢٥١٠ ومسلم ٢٥٦ و ٢٥٧.

فما زال يرددها حتى قلنا ليته سكت.

أظن أنها كانت على لسانك قبل أن ينطقها الصحابة.. فإياك أن تشهد زورا في أي مكان.. إنها من أكبر الكبائر.

هل هذه.. مثل تلك!؟

كلما كانت الكذبة كبيرة وضررها يعم على المجتمع، كلما كان الوزر يوم القيامة شديدا، فليس الكذب كله درجة واحدة، ولا الحساب عليه درجة واحدة.

لا حول ولا قوة إلا بالله.. على قدر ما أضلت كذبتك.. سيكون العذاب..

رؤيا ... تقلق!!

رأى النبي ﷺ رؤيا، رأى أن رجلا يفتح فمه فيشق شقيه نصفين، فيقول الرسول ﷺ :" فأتاني رجلان، فقالا لي: ان الذي يشق شقّيه هذا الكذاب، يكذب الكذبة فتحمل عنه، فتبلغ الآفاق، فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة". رواه الامام أحمد ٥\٩.

اللهم سلم سلم.. اللهم اللهم انك عفوّ تحب العفو فاعف عنا، والله يا رب ما نكذب بعد اليوم.. فاغفر لنا ما فعلنا.

هنا.. الصدق مهم جدا

ومن أنواع صدق اللسان: الصدق عند الزواج، وهو من الأشياء المهمة للغاية، ان كنت مريضة فأخبريه، أنت كذلك، وان كنت متزوجا فقل ولا تكذب.. اجعلوا مبدأكم الصدق في الزواج.. تقدم واعرض ظروفك جميعها دون كذب ولا تستح والله سيقف بجانبك.

أبي يقول لك: انه ليس موجودا بالبيت!!

ومن أنواع صدق اللسان. الصدق مع الأولاد حتى يتعلم الطفل الصدق من أبيه. كان النبي ﷺ في بيت أحد الصحابة فنادت زوجة الصحابي ابنها فقالت له: تعال هاك، فنظر إليها النبي ﷺ وقال:" ماذا تريدين أن تعطيه؟ أمعك شيء تعطيه" قالت نعم معي تمر يا رسول الله. قال :" أما انك لو لم يكن معك ما تعطيه إياه لكذبت عليه كذبة" رواه أبو داود ٤٩٩١ والامام أحمد ٣\٤٤٧.

كيف لو رأيت يا رسول الله ما يحدث اليوم:" لو سأل عليّ أحد قل له: نائم أو ليس موجودا".

ثم يشكو ويقول: لماذا يكذب ابني كثيرا؟ انه بفضلكما، أيها الأبوان، لقد أصبح مدرّبا على الكذب منذ الصغر!.

الكذب في المزاح

ومن أنواع الصدق: الصدق في المزاح والضحك، يقول النبي ﷺ :" ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له" رواه أبو داود ٤٩٩٠ والترمذي ٢٣١٥.

فكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا صدقا.

يقول ﷺ :" أنا زعيم ببيت وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا" رواه أبو داود ٤٨٠٠.

سبحان الله!! زعيم يعني: صمن.. الرسول يضمن لك بيتا في الجنة إذا تركت الكذب وان كنت مازحا..

امزح واضحك كما تشاء ولكن لا تكذب.

هل هذه كذبة!!

وهذا هو النوع الأخير من صدق اللسان، أن تصدق في أصغر الأشياء وفي أدق الأشياء (التي يلقبها الناس في هذه الأيام بالكذبة البيضاء).

ترى بعض الناس يقولون: لماذا تعقد الأمور؟ هذه كذبة بيضاء.

دخلت على النبي محمد ﷺ إحدى الصحابيات تقول له: يا رسول الله: أقول للطعام الذي أشتهيه لا أشتهيه أهي كذبة؟ فقال ﷺ :" إن الكذب يكتب كذبا حتى الكذيبة تكتب كذيبة" رواه الامام أحمد ٦\٤٣٨.

وكأن النبي ﷺ يقول لنا هذا الحديث، ليناسب هذا القرن الواحد والعشرين.

ويقول الكاتب الإسلامي شريف كمال عزب

يقولُ اللهُ تعالى في كتابه العزيز: { **يا أيُّها الذينَ ءامنوا لا يَسْخَرْ قومٌ من قَومٍ عسَى أن يكونوا خَيراً منهم. ولا نساءٌ من نساءٍ عسَى أن يَكنَّ خَيْراً منهُنَّ ولا تَلمِزُوا أنفُسَكُم وَلا تَنابَزُوا بالألقاب، بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بعدَ الايمان، ومَنْ لَمْ يتُب فأولئكَ همُ الظالمون** } سورة الحجرات/ءاية ١١. ويقولُ تعالى أيضاً: ﴿**يا أيُّها الذينَ ءامنوا اجتَنِبُوا كثيراً منَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ، ولا تجَسَّسُوا ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضَاً، أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتَاً فَكَرِهْتُمُوه، واتَّقُوا اللهَ، إنَّ اللهَ توّابٌ رحِيْمٌ**﴾ سورة الحجرات/ءاية ١٢.

إخوة الإيمان، سوفَ أذكرُ لكم إن شاء اللهُ في هذه الخطبة بيانَ بعضِ معاصي اللسانِ لتكونوا على بيّنةٍ من أمرِكم ولتُعلّموها غيرَكُم إنقاذاً لهم من المهالكِ فإنَّ أكثرَ المهالكِ والمعاصي سببُها اللسانُ الذي جرمُه صغيرٌ وجُرْمُه كبير. وسنبدأُ بتعريفِ الغيبة، روى مسلمٌ والترمذيُ وأبو داودَ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :" **أتدرونَ ما الغيبة ؟** قالوا : اللهُ ورسولُه أعْلَم، قال :" **ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكرهُ، قيل: أفرأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقولُ، قالَ: إن كانَ فيهِ ما تَقُولُ فقدِ اغتَبْتَهُ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ** ". فمن ذكرَ أخاهُ المسلمَ بما يكرهُ مما فيهِ في خلفهِ فقد وقعَ في الغيبةِ المحرّمةِ سواءٌ كانَ هذا

المسلمُ المذكورُ ميّتاً أو حيّاً، سواءٌ كان الكلامُ عنه مما يتعلقُ ببدنه أو نسبه أو ثوبه أو دارِه أو خُلُقه كأن يقولَ: فلانٌ قصيرٌ، أو أحوَلُ، أو أبوهُ دبّاغٌ أو إسْكَافٌ عاملُ أحذية، أو فلانٌ سيّءُ الخُلُق، أو قليلُ الأدبِ أو لا يَرَى لأحدٍ حقّاً عليه، أو وَسِخُ الثياب، أو دارُهُ رثَّةٌ، أو ولَدُه فلانٌ قليل التربية، أو فلانٌ تحكمُهُ زوجتُهُ، أو قليلةُ النظافة، ونحوُ ذلك من كل ما يَعلَمُ أنَّهُ يكرَهُهُ لو بَلَغَهُ، وهذه الغيبةُ إن كانت في أهلِ الصّلاحِ والتقوى يا عبادَ اللهِ فهي لا شكَّ كبيرةٌ من كبائِرِ الذنوب. واعلموا يا عبادَ الله أنّه كما تحرمُ الغيبةُ يحرمُ السكوتُ عليها معَ القُدرةِ على النهيِ فإنْ عَجزَ عن النهيِ يفارقُ ذلك المجلسَ الذي فيهِ الغيبة. ثم إنَّ الغيبةَ يا عبادَ اللهِ قد تكونُ جائزةً بلْ واجبةً وذلكَ في التحذيرِ من ذي فِسقٍ أو بِدعةٍ اعتقاديةٍ منَ البدعِ التي هي دونَ الكفرِ، كالتحذير من التاجرِ الذي يَغُشُّ في معاملاته أو تحذيرِ صاحبِ العمل مِن عامله الذي يخونُهُ، وكالتحذير منَ المتصدّرينَ للإفتاء أو التدريسِ أو قراءةِ القرءانِ معَ عَدَمِ الأهليّة، فهذه الغيبةُ واجبةٌ. واعلموا يا عبادَ اللهِ أنَّ التحذيرَ من العاملِ الذي يَغُشُّ صاحبَ العمل ليسَ أمراً مذموماً كما يظنُّ بعضُ الجهالِ فيُسمّونَ ذلكَ قطعَ رزقٍ بل إنَّ التحذيرَ من مثلِ هؤلاءِ فيهِ ثوابٌ فقد قال ﷺ :"**من غشّنا فليسَ منَّا**". كان بعضُ السّلفِ ومنهم سيدُنا عليٌّ رضي الله عنه يَمْنَعُ القُصَّاصَ الذين يجلسون ويتكلمونَ بأخبارٍ من غيرِ تمييزٍ بينَ الكلامِ الصحيحِ وبين الكلامِ الفاسدِ ليتسلّى بهِمُ الناسُ. فنحنُ علينا أن نقتديَ بأئمةِ الهُدى ولا نخافَ في اللهِ لَومةَ لائمٍ، علينا أن نقولَ الحقَّ ولا نخافَ في اللهِ لومَةَ لائمٍ علينا أن نقولَ الحقَّ وإن كان مُرّاً، قولُ الحقِّ مُرٌّ على كثيرٍ من النفوسِ، كثيرٌ من النفوسِ إذا قلتَ لهم قولاً حقّاً يكرهونَكَ، يَتَأَذَّوْنَ منكَ، عليك أن لا تبالي، لا تنظر الى رضاهُم وغَضَبِهِم وكراهيتِهِم، انت انظرْ الى أن تأتمرَ بأوامرِ اللهِ. اللهُ أمرَ بالتحذيرِ من الذينَ يُحرّفونَ شريعتَهُ. واذكر قولَ القائل :

إنْ صحَّ منكَ الرِضا يا مَنْ هو الطلبُ　　　فلا أُبالي بكلِّ النّاسِ إنْ غَضِبُوا

واذكر حديثَ رسولِ الله :" **إذا رأيتَ أُمّتي تَهابُ أنْ تَقولَ للظّالم يا ظالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنهُم**" أي حَجَبَ عنهُم نُصْرَتَه، تخلّى اللهُ عنهم أي هَلَكُوا، فمن عرفَ من شخص أنّهُ يـــريدُ مصاحبةَ شخصٍ وهذا الشخصُ يُفسدُ ويضُرّ يجبُ عليه أن يحذّرَه منه، وكذلك الحـــالُ بالنسبةِ لمنْ أرادَ أن يشاركَ شخصاً أو يخطبَ بنتاً. إخوةَ الإيمان، إنَّ من معاصي اللسانِ أيضاً النميمةَ وهي نقلُ القولِ للإفسادِ ويرادُ بها التفريقُ بينَ اثنينِ وإيقاعُ العداوةِ بيـــنهما وحصولُ القطيعةِ بينهما كأن يقولَ لهذا : فلانٌ قالَ عنكَ كذا ويقول للآخرِ : فـــلانٌ قـــالَ عنكَ كذا وهذا من كبائِرِ الذنوبِ. ومن معاصي اللسانِ أيضاً يا عبادَ اللهِ الـــتحريشُ بين اثنين ولو من غير نقلِ قولٍ ولو بين البهائِمِ كالتحريشِ بينَ الديكينِ أو الكَبْشَـــيْنِ ليتقاتلا ومن معاصي اللسان أيضاً الكذبُ وهو الكلامُ بخلافِ الواقِعِ، وهو حـــرامٌ بالإجماعِ سواءٌ كانَ الشخص مازِحاً أو جادًّا. وأشدُّ ما يكونُ منْ ذلكَ إذا كانَ يتضـــمنُ تحليلَ حرامٍ أو تحريمَ حلالٍ أو ترويعَ مسلمٍ. ومن معاصي اللسان أيضاً الحَلِفُ باللهِ كذباً وهو من كبائِرِ الذنوبِ وما أكثرَهُ في أيامنا هذه خصوصاً في الأسواق.

ومن معاصي اللسان أيضاً يا عبادَ اللهِ قَذفُ المسلمِ بالزِنى وألفاظُ القذف كثيرةٌ حاصلُها كـــلُ كلمةٍ تَنْسُب إنساناً أو واحداً من قرابتِه الى الزِّنى كقولِ بعضِهم يا زاني أو يا ابن الزانية، وهذا من كبائِرِ الذنوبِ أيضاً، ومن معاصي اللسانِ سَبُّ الصحابةِ وسبُّهم على وجه الاجمال كفرٌ والعياذُ باللهِ. ومن معاصي اللسانِ شهادةُ الزُّورِ أي الكذبُ، وهو من أكبرِ الكبائرِ ومن معاصي اللسانِ مَطْلُ الغني أي تأخيرُ دفعِ الدينِ مع غِناهُ أي مقدرتِه، وإنمـــا عُـــدَّ ذلكَ من معاصي اللسانِ لأنه يتضمّنُ الوعدَ بالقولِ بالوفاءِ ثم يُخلِف. ومن معاصـــي اللســـانِ ســـبُّ المسلمِ ولعنُهُ وهو من كبائِرِ الذنوبِ. ومن معاصي اللسانِ الاستهزاءُ بالمسلمِ أي التحقيرُ له وتكليمُه بكلامٍ مُؤذٍ لَهُ بغيرِ حقٍّ. ومن معاصي اللسانِ الكذبُ على اللهِ وعلى رسولِهِ وهوَ من الكبائر، ومنه ما يُؤدِّي بصاحبه إلى الكفر وذلك كـــأن يَنْسُـــبَ الى اللهِ تحليلَ ما حرَّمَهُ في شَرْعِهِ وكذلك نسبةُ تحريمِ ما أحلَّهُ للمؤمنين.

ومـــن معاصي اللسان الدعوى الباطِلَةُ كأنْ يدّعيَ على شخصٍ ما ليسَ لَهُ اعتماداً على شهادةِ الزُّورِ أو على جاهِهِ وسلطتِه. ومن معاصي اللسانِ الطَّلاقُ البِدعيُّ وهو ما كانَ في حالِ الحيضِ أو النفاسِ أو أن يُطلِّقَ امرأتَهُ في طُهرٍ جامَعَها فيه، ومعَ حُرمةِ ذلكَ فإنَّ الطَّـــلاقَ فيهِ واقعٌ. والحكمة من تحريمِ ذلكَ أنَّ في ذلك إطالة مُدَّة العِدَّة. ومن معاصي اللســـان أن يقـــولَ الرجلُ لزوجته أنتِ عليَّ كظهرِ أمّي أي لا أجامِعُكِ ويُسَمَّى ذلكَ الظِّهـــارَ وهـــوَ من الكبائر. ومن معاصي اللسان اللحنُ في القرءانِ بما يُخِلُّ بالمعنى، أو الأعـــراب وإنْ لم يُخِـــلَّ بالمعنى كأن يقرأَ بدلَ صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهم بفتحِ التاءِ صـــراطَ الذين أنعمتُ عليهم بضمِّ التاءِ، أو كأن يقرأ بدلَ صراطَ الذين بالذال المُعْجَمَة صـــراطَ الزين بالزّاي، وأكثرُ ما يَلْزَمُ الاهتمامَ بقراءته هو سورةُ الفاتحةِ لأنَّها ركنٌ من أركـــانِ الصـــلاة ولا تَصِـــحُّ الصلاةُ بدونهَا فمنْ أخلَّ ببعضِ حروفِ الفاتحةِ لا تصحُّ صـــلاتُهُ. إخوة الايمان، إنَّ هذا اللسانَ نِعمَةٌ عظيمةٌ فهنيئاً لمنْ حَفظَهُ من المحرّمات، فقد ثبـــتَ عن أحدِ الصحابةِ أنه أخذَ لسانَه وخاطبَهُ: يا لسانُ قلْ خيراً تَغْنَم، واسكت عن شرٍ تَسْلَم منْ قَبلِ أن تندم، إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: "**أكثرُ خطايا ابنِ ءادمَ مِنْ لِسَانِه**". وسنُكمل لكم إنْ شاءَ اللهُ في خُطبةٍ أخرى بقيّةَ البابِ لأهمّيته.

اتقوا خطر ألسنتكم، فإن كلام ابن آدم كله محفوظ عليه، يقول تعالى: " وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون " وكل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذكر الله وما والاه. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: " وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم "، والمراد بحصائد ألسنتهم جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات أو السيئات، وكل سيحصد ما زرع يوم القيامة، فمن زرع خيراً حصد كرامة، ومن زرع شراً حصد ندامة. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ".

أيها المسلمون: كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بلسانه ويقول: " ويحك، قل خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم "، وكان ابن مسعود ﷺ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان، وفي الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى فيها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار ".

أيها المسلمون: ما أكثر الناس اليوم الذين يتصدرون المجالس والمنتديات بكلام لا يرون به بأساً، فيعرضون أنفسهم لهذا الوعيد، فما أكثر الذين يتصدرون المجالس بالكذب! وقد قال ﷺ : " إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ". وقد وصف الله الكاذبين بأقبح ما وصف به الكافرين الجاحدين لآيات الله فقال: " إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ".

أيها المسلمون: تتفاوت درجات الكذب بحسب ما يحدثه من الضرر، ويجره من الشر،

فأعظم الكذب إثماً القول على الله ورسوله وفي دينه بغير علم، والجرأة على التحريم والتحليل دون برهان، قال تعالى: " ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون "، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " من كذب علي متعمداً - وفي لفظ: من قال علي ما لم أقل - فليتبوأ مقعده من النار ".

وقد " رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء رجلاً يشرشر شدقه إلى قفاه، هكذا يعذب إلى يوم القيامة، فسأل عنه، فقيل له: هو الرجل يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ".

وما أكثر الذين يختلقون الأكاذيب ليضحكوا الناس، أو ليضلوهم، أو ليصلوا بواسطة الكذب إلى أغراض خبيثة وأهداف دنيئة، ثم ينشرون هذه الأكاذيب في المجالس أو عبر وسائل الإعلام المتنوعة، فيقلبوا الحق باطلاً والباطل حقاً، ويظهروا الحسنات على أنها سيئات والسيئات بمظهر الحسنات، بواسطة زخرف القول. وصدق الله العظيم إذ يقول: " شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون * ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ".

أيها المسلمون: ومن أنواع الكلام المذموم الذي ينتشر في بعض مجالس الناس الخوض في الباطل، وهو الكلام في المعاصي، والتحدث عنها بما يروجها بين الناس، أو يهون وقعها على مسامعهم،ويشيع الفاحشة بينهم. ومنه التحدث بما يقع في المجتمع من المخالفات التي يرتكبها بعض الأفراد حيث يتحدث بها من له اطلاع عليها ممن قل فقهه في مجالس العامة، والتحدث عنها ما يفرح الأشرار والمنافقين، ويشيع الفاحشة بين المؤمنين. وقد قال تعالى: " إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ".

ومن نشر الفاحشة بين المؤمنين ما تقوم به بعض المؤسسات، وبتعاون من بعض الآباء

وأفراد الأسر من نشر وترويج الأفلام والمسلسلات الهابطة التي تغري بالزنا، وتهون البغاء، وتعلم الأحداث فنون الإجرام وألوان التمرد على سلطة الآباء والحكام.

أيها المسلمون: ومن أخطر أنواع الكلام المذموم الذي يعد من حصائد الألسنة، وتفوح به كثير من مجالس من ينتسبون إلى الخير، ما يشيع في تلك المجالس من القيل والقال التي محصلتها الوقيعة في أعراض الأكابر من العلماء، والتحريض على نزع يد الطاعة من أولي الأمر، وإحداث النفرة والفرقة بين خيرة الإخوان والدعاة إلى الله تعالى، بسبب الخوض في الأحاديث، ونقل الأخبار، ودون وعي وتثبت، مطيتهم في ذلك زعموا، وقالوا، وحدثني من أثق بعلمه، ونحو ذلك من المصادر المهلهلة والتي هي من أسلحة الفتنة التي تخرب الناس، وتشتت الكلمة، وتزرع الضغائن والأحقاد في الصدور، وتفسخ المجالس للمغرضين والمتربصين بهذا المجتمع الآمن الدوائر.

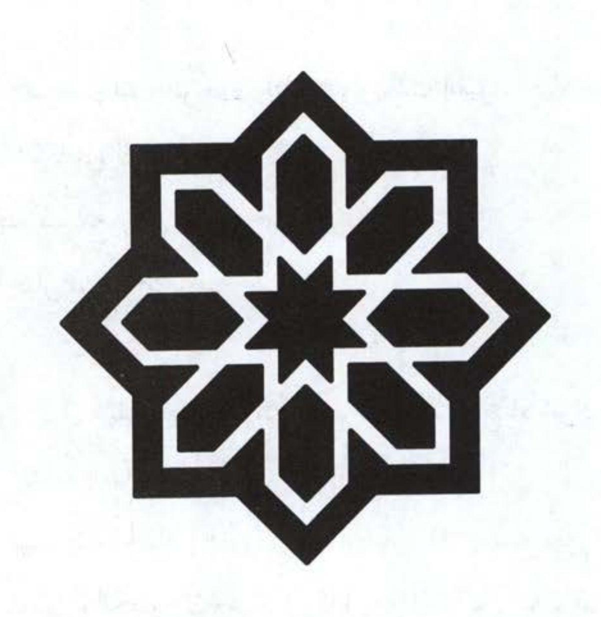
وفي الصحيح عن حذيفة ﷺ قال: " بئس مطية الرجل زعموا " وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ". وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ". ومن كلام بعض أهل العلم: وما كل ما يعلم يقال. وقال ابن مسعود ﷺ : " إن الشيطان ليتمثل بصورة الرجل، فيأتي القوم يحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، ويقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري، ما سمعه يحدث ".

وهذا فيه التنبيه على خطر كيد شياطين الإنس والجن، ومن يفعل فعلهم من بسطاء الناس وذوي الأهواء منهم، الذين ينقلون الأخبار المكذوبة، ويصنعون الحوادث الملفقة المفتعلة، ثم يشيعونها في مجالس الناس وكأنها قضايا مسلمة، فيكون لها الأثر السيء في الإرجاف لبعض الناس، وتثبيط همم الآخرين عن الخير، وإساءة الإخوان بعضهم ببعض، وإثارة الفتن، وتخريب الناس، نتيجة حادثة مكذوبة أو خبر مغرض أو نحو ذلك.

ولو تأملت كثيراً مما يحدث في مجالس الناس اليوم تجد كثيراً منه لا سند له صحيح،

يعتمد عليه في النقل، وإنما هو بواسطة زعموا، ويقولون، وحدثني من أثق به، وما صح منه. فلا يعرف وجه وقوع الفعل ومناسبة القول حتى يحكم عليه أو له، مع أن كثيراً من الحوادث الصحيحة والأخبار الصادقة لابد أن تترجح المصلحة في روايتها وإشاعتها، وإلا فإن الإنسان يكون معرضاً للوقوع في الغيبة أو النميمة، وينطبق عليه قوله تعالى: " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ".

فاتقوا الله في كلامكم، واحذروا ألسنتكم، لا تشيعوا الفاحشة، ولا تتكلموا بالبهت، ولا تتسببوا في إثارة الفتن وتخريب الأمة، فإن كلامكم مستطر، ومجزيون به يوم العرض الأكبر.



عباد الرحمن دائما يشتاقون إلى الجنة

ومن هنا اشتاقت نفوس الصالحين إلى الجنة
حتى قدموا في سبيل الوصول إليها كلَّ ما يملكون
هجروا لذيذ النوم والرقاد ، وبكوا في لأسحار ، وصاموا النهار ، وجاهدوا الكفار ،
فلله كم من صالح وصالحة اشتاقت إليهم الجنة كما اشتاقوا إليها
من حسن أعمالهم ، وطيب أخبارهم ، ولذة مناجاتهم ،
وكان لكل واحد منهم ، ولكل واحدة منهن مع الله جل جلاله أخبار وأسرار ، لا يعرفها غيره أبداً، جعلوها بين أيديهم عُدداً
لا يطلبون جزاءهم إلا منه ، فطريقهم إليه ، ومعولهم عليه ، ومآلهم يكون بين يديه فلا إله إلا الله .. كم بكت عيون في الدنيا خوفاً من الحرمان من النظر إلى وجه الله الكريم
فهو سبحانه أعظم من سجدت الوجوه لعظمته ، وبكت العيون حياءً من مراقبته ، وتقطعت الأكباد شوقاً إلى لقائه ورؤيته
فالمشتاقون إلى الجنة لهم مع ربهم تعالى أخبار وأسرار
فإليكم شيئاً من أخبارهم ، وطرفاً من أسرارهم ..
أول هذه الأخبار
ما أورده ابنُ الجوزي في صفة الصفوة وابنُ النحاس في مشارع الأشواق عن رجل من الصالحين اسمه أبو قدامة الشامي ..
وكان رجلاً قد حبب إليه الجهاد والغزو في سبيل الله ، فلا يسمع بغزوة في سبيل الله ولا بقتال بين المسلمين والكفار إلا وسارع وقاتل مع المسلمين فيه ، فجلس مرة في الحرم المدني فسأله سائل فقال :

يا أبا قدامة أنت رجل قد حبب إليك الجهاد والغزو في سبيل الله فحدثنا بأعجب ما رأيت من أمر الجهاد والغزو

فقال أبو قدامة : إني محدثكم عن ذلك :

خرجت مرة مع أصحاب لي لقتال الصليبيين على بعض الثغور (والثغور هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها) فمررت في طريقي بمدينة الرقة (مدينةٍ في العراق على نهر الفرات) واشتريت منها جملاً أحمل عليه سلاحي ، ووعظت الناس في مساجدها وحثثتهم على الجهاد والإنفاق في سبيل الله ، فلما جن علي الليل اكتريت منزلاً أبيت فيه ، فلما ذهب بعض الليل فإذا بالباب يطرق عليّ ، فلنا فتحت الباب فإذا بامرأة متحصنة قد تلفعت بجلبابها ،

فقلت : ما تريدين ؟

قالت : أنت أبو قدامة ؟

قلت : نعم ،

قالت : أنت الذي جمعت المال اليوم للثغور ؟

قلت : نعم ، فدفعت إلي رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية ،

فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها : إنك دعوتنا إلى الجهاد ولا قدرة لي على ذلك فقطعت أحسن ما فيَّ وهما ضفيرتاي وأنفذهما إليك لتجعلهما قيد فرسك لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي ،

قال أبو قدامة : فعجبت والله من حرصها وبذلها ، وشدة شوقها إلى المغفرة والجنة .

فلما أصبحنا خرجت أنا وأصحابي من الرقة ، فلما بلغنا حصن مسلمة بن عبد الملك فإذا بفارس يصيح وراءنا وينادي يقول : يا أبا قدامة يا أبا قدامة ، قف عليَّ يرحمك الله ، قال أبو قدامة : فقلت لأصحابي : تقدموا عني وأنا أنظر خبر هذا الفارس ، فلما

رجعت إليه ، بدأني بالكلام وقال : الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك و لم يردني خائباً ، فقلت له ما تريد : قال أريد الخروج معكم للقتال .

فقلت له : أسفر عن وجهك أنظر إليك فإن كنت كبيراً يلزمك القتال قبلتك ، وإن كنت صغيراً لا يلزمك الجهاد رددتك .

فقال : فكشف اللثام عن وجهه فإذا بوجه مثل القمر وإذا هو غلام عمره سبع عشرة سنة

فقلت له : يا بني ؟ عندك والد ؟ قال : أبي قد قتله الصليبيون وأنا خارج أقاتل الذين قتلوا أبي .

قلت : أعندك والدة ؟

قال : نعم ، قلت : ارجع إلى أمك فأحسن صحبتها فإن الجنة تحت قدمها

فقال : أما تعرف أمي ؟ قلت : لا ،

قال : أمي هي صاحبة الوديعة ، قلت : أي وديعة ؟

قال : هي صاحبة الشكال ، قلت : أي شكال ؟

قال : سبحان الله ما أسرع ما نسيت !! أما تذكر المرأة التي أتتك البارحة وأعطتك الكيس والشكال ؟؟

قلت : بلى قال : هي أمي ، أمرتني أن أخرج إلى الجهاد وأقسمت عليّ أن لا أرجع .. وإنها قالت لي : يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر ، وهَب نفسك لله واطلب مجاورة الله ، ومساكنة أبيك وأخوالك في الجنة ، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيّ ثم ضمتني إلى صدرها ، ورفعت رأسها إلى السماء ، وقالت : إلهي وسيدي ومولاي ، هذا ولدي ، وريحانةُ قلبي ، وثمرةُ فؤادي ، سلمته إليك فقربه من أبيه ..

سألتك بالله ألا تحرمني الغزو معك في سبيل الله ، أنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد ، فإني حافظ لكتاب الله ، عارف بالفروسية والرمي ، فلا تحقرَنّي لصغر سني ..

قال أبو قدامة : فلما سمعت ذلك منه أخذته معنا ، فوالله ما رأينا أنشط منه ، إن ركبنا فهو أسرعنا ، وإن نزلنا فهو أنشطنا ، وهو في كل أحواله لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى أبداً ...

....

إذ رأيت قصراً يتلألأ أنواراً لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وإذا شُرفاته من الدرّ والياقوت والجوهر ، وأبوابه من ذهب ، وإذا ستور مرخية على شرفاته ، وإذا جوار يرفعن الستور ، وجوههن كالأقمار ..

تقدم يرحمك الله فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر ، قوائمه من الفضة البيضاء ، عليه جارية وجهها كأنه الشمس ، لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية ..

فلما رأتني الجارية قالت : مرحباً بولي الله وحبيبه .. أنا لك وأنت لي

فلما اقتربت منها قالت :

فجالت الأبطال ، ورميت النبال ، وجردت السيوف ، وتكسرت الجماجم ، وتطايرت الأيدي والأرجل ..

واشتد علينا القتال حتى اشتغل كلٌّ بنفسه ، وقال كل خليل كنت آمله ..

فالتفت أبو قدامة إلى مصدر الصوت فإذا الجسد جسد الغلام

وإذا الرماح قد تسابقت إليه ، والخيلُ قد وطئت عليه

فمزقت اللحمان ، وأدمت اللسان

وفرقت الأعضاء ، وكسرت العظام ..

وإذا هو يتيم ملقى في الصحراء

قال أبو قدامة : فأقبلت إليه ، وانطرحت بين يديه ، وصرخت : هاأنا أبو قدامة .. هاأنا أبو قدامة ..

فقال : الحمد لله الذي أحياني إلى أن أوصي إليك ، فاسمع وصيتي
قال أبو قدامة : فبكيت والله على محاسنه وجماله ، ورحمةً بأمه ، وأخذت طرف ثوبي أمسح الدم عن وجهه

فقال : تمسح الدم عن وجهي بثوبك !! بل امسح الدم بثوبي لا بثوبك ، فثوبي أحق بالوسخ من ثوبك ..

قال أبو قدامة : فبكيت والله ولم أحر جواباً ..

فقال : يا عم ، أقسمت عليك إذا أنا مت أن ترجع إلى الرقة ، ثم تبشر أمي بأن الله قد تقبل هديتها إليه ، وأن ولدها قد قتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر ، وأن الله إن كتبني في الشهداء فإني سأوصل سلامها إلى أبي وأخوالي في الجنة ، ..

ثم قال : يا عم إني أخاف ألا تصدق أمي كلامك فخذ معك بعض ثيابي التي فيها الدم ، فإن أمي إذا رأتها صدقت أني مقتول ، وأن الموعد الجنة إن شاء الله ..

يا عم : إنك إذا أتيت إلى بيتنا ستجد أختاً لي صغيرة عمرها تسع سنوات .. ما دخلت المترل إلا استبشرت وفرحت ، ولا خرجت إلا بكت وحزنت ، وقد فجعت بمقتل أبي عام أول وفجعت بمقتلي اليوم ، وإنها قالت لي عندما رأت علي ثياب السفر :

يا أخي لا تبطئ علينا وعجل الرجوع إلينا ، فإذا رأيتها فطيب صدرها بكلمات ..

ثم تحامل الغلام على نفسه وقال : يا عمّ صدقت الرؤيا ورب الكعبة ، والله إني لأرى المرضية الآن عند رأسي وأشم ريحها ..ثم انتفض وشهق شهقتين ، ثم مات ..

قال أبو قدامة : فلما دفناه لم يكن عندي هم أعظم من أن أرجعَ إلى الرقة وأبلغَ رسالته لأمه ..

قدمت هذه المرأة الصالحة كل ذلك في سبيل أن تدخل الدار التي اشتد شوقها إليها ، وقدم ولدُها نفسَه رخيصةً لله ، وتناسى لذاتِه وشبابه ، فليت شعري ماذا قدم للجنة المفرطون أمثالُنا ؟!

رحم الله فتى هـــذب الدين شبابه
ومضى يزجي إلى العلياء في عزم ركابه
مخبتـــــاً لله صـــــير الزاد كتابه
وارداً من منهل الهادي ومن نبع الصحابة
إن طلبت الجود منه فهو دوماً كالسحابة
أو نشدت العزم فيه فهو ضرغام بغابة
جاذبته النفس للشر فلم يبد استجابة
متـــــقٍ لله تعلـــــو من يلاقيه المهابة
رقّ منه القلب لكن زاد في الدين صلابة
بلســـم للأرض يمحو عن محياها الكآبة
ثابت الخطو فلم تُطف الأعاصير شهابه
جـــــرّبته صولة الدهر فألفت ذا نجابة
إن يقم يوماً خطيباً يُسمعُ الصمَّ خطابَه
أو يسر في الدرب يوماً أبصر الأعمى جنابه
مسلم يكفيه فخراً أن للدين انتسابه

المشتاقون إلى الجنة ، ارتفع قدرها عندهم ، حتى لم يرضوا لها ثمناً إلا أرواحَهم التي بين جنوبهم ..

ولماذا لا يبذلون للجنة ذلك وأكثر

وهي الدار التي أخبر النبي ﷺ بأقل أهلها نعيماً ، وأدناهم ملكاً فكان له في ذلك نبأ عجيب ..

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

" آخر من يدخل الجنة : رجل فهو يمشي على الصراط مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين .

فترتفع له شجرة فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها

فيقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ؟

فيقول : لا يا رب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها .

ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول: يا رب أدنني من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها

فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها ؟

فيقول : لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين

فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظلّ بظلها وأشربَ من مائها لا أسألك غيرها

فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟

قال : بلى يا رب ، هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة .

فيقول: يا رب أدخلنيها

فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاهم

فيقول الله : يا ابن آدم ما يرضيك مني ؟!

أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟

فيقول : رضيت رب

فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله

فيقول في الخامسة : رضيت رب

فيقول الله تعالى : لك ذلك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك

ثم يقول الله تعالى له : تمن ، فيتمنى ، ويذكره الله : سل كذا وكذا ، فإذا انقطعت به الأماني

ثم يدخل بيته ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك

فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أعطيت .

قال (يعني موسى عليه السلام) : رب فأعلاهم منزلة ؟

قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين و لم تسمع أذن و لم يخطر على قلب بشر) فـــ سبحان من غرست يداه جنة الفردوس عند تكامل البنيان ويداه أيضا أتقنت لبنائها فتبارك الرحمن أعظم بان

لما قضى رب العباد العرش قا	ل تكلمي فتكلمت ببيان
قد أفلح العبد الذي هو مؤمن	ماذا ادخرت له من الاحسان
فيها الذي والله لا عين رأت	كلا ولا سمعت به الأذنان
كلا ولا قلب به خطر المثا	ل له تعالى الله ذو السلطان
هي جنة طابت وطاب نعيمها	فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى	ومترل عسكر الايمان والقرآن
أمشاطهم ذهب ورشحهم	فمسك خالص ياذلة الحرمان
هذا وسنهم ثلاث مع ثلا	ثين التي هي قوة الشبان

وبناؤها اللبنات من ذهب وأخـــ ـــرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من در وياقوت به نظم البناء بغاية الاتقان
والطين مسك خالص أو زعفرا ن جابذا أثران مقبولان
حصباؤها در وياقوت كذاك لآليء نثرت كنثر جمان
وترابها من زعفران أو من المسك الذي ما استل من غزلان
أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم خمـــــــــ ـــــــر ثم أنهار من الألبان
سبحان ذي الجبروت والملكوت وال إجلال والإكرام والسبحان
والله أكبر عالم الاسرار والاعلان واللحظات بالاجفان
والحمد لله السميع لسائر الأصوات من سر ومن اعلان
وهو الموحد والمسبح والمـــ جد والحميد ومنزل القرآن
والأمر من قبل ومن بعد له سبحانك اللهم ذا السلطان

المشتاقون إلى الجنة لهم مع ربهم أخبار وأسرار بل كانوا إذا حـــصلوا الجنة لم يلتفتوا إلى غيرها أبداً حارثة بن سراقة غلام من الأنصار .. له حادثة عجب ذكرها أصحاب السير وأصلها في صحيح البخاري

دعا النبي ﷺ الناس للخروج إلى بدر ..

فلما أقبلت جموع المسلمين كانت النساء ..

وكان من بين هؤلاء الحاضرين عجوز ثكلى ، كبدها حرى تنتظر مقدم ولدها ..

فلما دخل المسلمون المدينة بدأ الأطفال يتسابقون إلى آبائهم ، والنساء تسرع إلى أزواجها ، والعجائز يسرعن إلى أولادهن ، .. وأقبلت الجموع تتتابع ..
جاء الأول .. ثم الثاني .. والثالث والعاشر والمائة ..ولم يحضر حارثة بن سراقة ..
وأم حارثة تنظر وتنتظر تحت حرّ الشمس ، تترقب إقبال فلذة كبدها ، وثمرةِ فؤادها ، كانت تعد في غيابه الأيام بل الساعات ، وتتلمس عنه الأخبار ، تصبح وتمسي وذكره على لسانها ..

تسائل عنه كل غاد ورائح ... وتومىء إلى أصحابه وتسلم
فلله كم من عبرة مهراقة ... وأخرى على آثارها لا تقدم
وقد شرقت عين العجوز بدمعها ... فتنظر من بين الجموع وتكتم

وكانت إذا ما شدها الشوق والجوى وكاد يل تفصم تذكر نفساً بالتلاقي وقربه وتوهمها لكنها لا توهم وكم يصبر المشتاق عمن يحبه وفي قلبه نار الأسى تتضرم ترقبت العجوز وترقبت فلم تر ولدها ..
فتحركت الأم الثكلى تجر خطاها إلى النبي ﷺ، ودموعها .. فنظر الرحيم الشفيق إليها فإذا هي عجوز قد هدها الهرم والكبر ، وأضناها التعب وقلّ الصبر ، وقد طال شوقها إلى ولدها ، تتمنى لو أنه بين يديها تضمه ضمة ، وتشمه شمة ولو كلفها ذلك حياتها ..
اضطربت القدمان ، وانعقد اللسان ، وجرت بالدموع العينان ..
كبر سنها ، واحدودب ظهرها ، ورق عظمها ، ويبس جلدها ، واحتبس صوتها في حلقها .. وقد رفعت بصرها تنتظر ما يجيبها الذي لا ينطق عن الهوى ..
فلما رأى النبي ﷺ ذلها وانكسارها ، وفجيعتَها بولدها ، التفت إليها وقال :
ويحك يا أم حارثة أهبلت ؟! أوجنةٌ واحدة ؟! إنها جنان ، وإن حارثة قد أصاب الفردوس لأعلى ..

فلما سمعت العجوز الحرى هذا الجواب : جف دمعها ، وعاد صوابها ، وقالت : في الجنة ؟ قال : نعم .

فقالت : الله أكبر .. ثم رجعت الأم الجريحة إلى بيتها ..

رجعت تنتظر أن يترل بها هادم اللذات ..ليجمعها مع ولدها في الجنة ..

لم تطلب غنيمة ولا مالاً ، ولم تلتمس شهرة ولا حالاً ، وإنما رضيت بالجنة ..

المشتاقون إلى الجنة لهم مع ربهم تعالى أخبار وأسرار

كلما زاد ربهم في بلائهم وامتحانهم ، ازدادوا صبراً واحتساباً

فهو سبحانه أكبر المنعمين ، ولا يقبل أن يعامله عباده بالمجان بل يعظم لهم الأجور

وما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها ..

استمع إلى هذا الخبر العجيب

روى البخاري عن عطاء بن أبي رباح

الأمة السوداء :

جاءت إليه ﷺ تلتمس منه أن يغير مجرى حياتها فقد تعذبت فيها أشد العذاب ..لا أحد يتزوجها .. ولا يجلس معها .. الناس يخافون منها .. والأطفال يضحكون منها ..

تصرع بين الناس في أسواقهم .. وفي بيوتهم .. وفي مجالسهم .. حتى استوحشوا من مخالطتها .. ملت من هذه الحياة فجاءت إلى الرحيم الشفيق .. ثم صرخت من حرّ ما تجد :

إني أصرع .. فادع الله تعالى أن يشفيني ..

فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من كلامه ..

نظرت المرأة وتأملت في حالها ومرضها .. ورددت كلامه ﷺ في عقلها .. فإذا هو يخيرها بين المتعة في دنيا فانية يمرض ساكنها ، ويجوع طاعمها ، وييأس مسرورها ،

وبين دار ليس فيها ما يشينها ، ولا يزول عزها وتمكينها ، دار قد أشرقت حِلاها ، وعزت علاها ، دار جلَّ من بناها ، وطاب للأبرار سكناها ، وتبلغ النفوس فيها مناها فقالت الأمة المريضة يا رسول الله : بل أصبر .. أصبر يا رسول الله ..

وصبرت حتى ماتت .. وليتعب جسدها ..ولتحزن نفسها ..ما دام أن الجنة جزاؤها .. الله أكبر .. زال نصبهم ، وارتفع تعبهم ، وحصل مقصودهم ، ورضي معبودهم ..ما أتم نعيمهم ، وأعز تكريمهم ، يتقون في الدنيا .. ليفوزوا يوم القيامة ..

﴿ إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا * وكواعب أترابا * وكأسا دهاقا * لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا * جزاء من ربك عطاء حسابا﴾

في الجنة :

أعد الله لهم القصور والأرائك ، وأخدمهم الغلمان والملائك ، وأباحهم الجنان والممالك

صبروا ------ على الأمراض والأسقام ، وعلى الأدواء والأورام ،

صبروا ------ على الفقر واللأواء ، والضيق والبلاء ..

صبروا ------ على حفظ الفروج ، وغض الأبصار ، ومناجاة ربهم في الأسحار ..

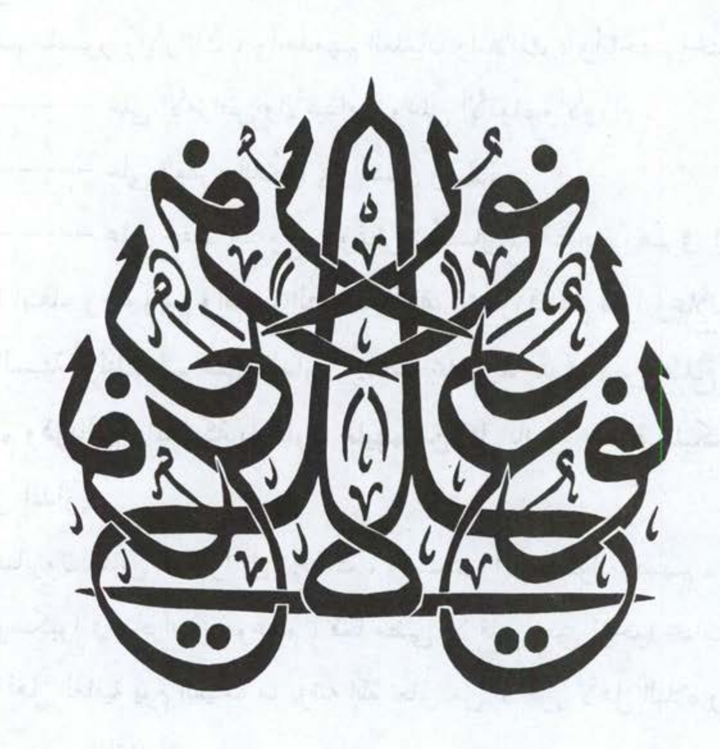
﴿ صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾

أولئك الصابرون الذين اشتاقوا إلى الجنات ، واستبشروا فتحملوا مرضهم ، وكتموا أنينهم ، وسكبوا في المحراب دموعهم ، فما مضى إلا قليل حتى فرحوا بجنات النعيم وإذا رأى أهل العافية يوم القيامة ما يؤتيه الله تعالى من الأجور لأهل البلاء ودوا لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض ..

﴿ **جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾

بل انظر إلى هذا الامتحان الصعب الذي أثبت فيه المحبون أنهم إلى ربهم مشتاقون ، وفي رضاه راغبون ، ولسان حالهم :

فليتك تحلوا والحياة مريرة . .



أيها الكريم:

هذه عصارة الفكر، وخلاصة التجربة، ونتيجة البحث والتلقي، تراها بين يديك بعد أن أرسلت إليك.

فما وجدت فيها من خير وصواب، فهو من توفيق الكريم الوهاب {**وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**} [هود: ٨٨].

فعض عليها بالنواجذ، واقبض عليها بكف الحرص، وكن بها عالما، وبما فيها عاملاً، وإليها داعيا وعليها صابرا، وادع لأخيك بالقبول والثواب.

وما وجدته فيها من خطأ وخطيئة، فاطرحه جانبا، وانبذه قصيا، فالحق أحق أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وادع لأخيك بالمغفرة لزلـــله، والصفح عن خلله، واعلم أنها ذنوبه التي أركسته، ومعاصيه التي كبلته، وخطاياه حالت بينه وبين الحق، فكن له ناصحا، ومن المخالفة مخلصا، ولن تجد منه إلا آذانا صاغية، وأكفا داعية..وسلام من الله عليك، ورحمة منه إليك- بفضله وكرمه- وهو ذو الفضل العظيم، وصلى الله على رسولنا الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وكتبه

عبدالله كشك

الكاتب الإسلامي

شريف كمال عزب

في سطور

هوشريف كمال عبدالعال عزب حاصل على كلية التربية قسم اللغة الفرنسية ولكنه ظل منذ طفولته يحب العلم ويجتهد في طلبه اتجه بعد ذلك للدعوة فأصبح من الدعاه المفوهين وكتـب الكثير من المقالات في اللواء الإسلامي والتوحيد ومنار الإسلام –الإمارات – والوعي الإسلامي – الكويت – والكثير من الجرائد اليومية والأسبوعية صدر له حوالي مـن ٧٥ كـتابا ٥٠ منها في الرقائق وأمور الآخرة واتجه بعد ذلك للكتابة في مشاكل المجتمع واقتراح الحلول لها فكان له في الرقائق :

بكاء النساء في النار **دار الروضة للنشر**

وفي الاجتماعيات :

حياه زوجية مثالية بلا مشاكل **دار التقوى للنشر**

وـله العديد من اللقاءات التلفزيونية حول هذا الموضوع ويُستضاف في القنوات المصرية والعربية على الهواء مباشرة ويقدم الحلول لمشاكل المشاهدين .

سامي الطرابيشي

رقم الإيداع بدار الكتب

٧٢٥٠ / ٢٠٠٦ م

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٥٧٨٧٩١٨ - ٥٧٩٩٩٤٢
الرقم البريدي : ١١٢٣١